الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

قسم اللّغة والأدب العربيّ

مذكّرة مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة التخرّج ماستر موسومة بـ:

# دراسة كتاب

# دراسات في البلاغة

# " محمد بركات حمدي أبو علي"

إعداد الطالبة :

– دباب أحلام

إشراف:

– د/ عطار خالد

الموسم الجامعيّ: 1441– 1442هـ/2020–2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة شكر

"قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" النمل الآية "19"

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى الأعوام التي قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهود كبير في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد...

في البداية نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إتمام هذا البحث سواء من قريب أو بعيد.

كما يشرفني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور عطار خالد الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة التي مهدت الطريق لإتمام هذا البحث ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل أساتذة معهد الآداب واللغات على صبرهم معنا طوال مدة دراستنا

# إهداء ....

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد...

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى من قال الله عز وجل فيهما قال تعالى " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

إلى من لقنني دروسا في العمل والكفاح أولى الخطوات نحو النجاح صاحب الفضل في تكوين شخصيتي وفكري الذي كان شمعة تنير دربي

إلى من خطّ مسار حياتي فكان دعائه سر نجاحي ورضاه سر فلاحي إلى رمز البيت وعماده تاج رأسي

إلى منبع الرجولة الذي تعلمت بفضله أول حرف وأنا نور المعرفة في عقل أبي العزيز

" الحاج دراب محمد"

ما أجمل أن يهدي المرء أغلى مايملك الأجمل أن يهدي من قيل فيها " الجنة تحت أقدام الأمهات "

إلى ما لا يكفيني في مدحها كل الكلام ، إلى من حملتني في بطنها خلقا بعد خلق إلى من يحمل قلبها ينبوع الحنان، إلى من أنارت دربي بشموع الآمال، إلى أحلى أغنية أتغنى بها ، إلى الشمس التي تشرق في سمائي إلى قرة عيني ونبض الفؤاد ودواء الروح ...

إلى معنى التضحية وروح النضال أمي الغالية رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه.

إلى من أدركت معه معنى الحياة إخوتي: عبد القادر، لخضر، معمر، أمين، إسلام، جمال

إلى أخواتي : مريم، حورية، العالية.

إلى: أبناء إخوتي وبناتهم : محمد، ياسين، محمد، أمجد، عقيلة، مروة، سبة

إلى كتاكيت العائلة : ملاك، آدم، رسيم.

إلى الأعمام والعمات ، الأخوال والخالات وأبنائهم وبناتهم

إلى زوجة أبي حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى أستاذي الدكتور المحترم عطار خالد

إلى جميع أساتذتي الأفاضل

## البطاقة الفنيّة للكتاب

**عنوان الكتاب** : دراسات في البلاغة

**المؤلّف** : محمد بركات حمدي أبو علي

**دار النشر** : دار الفكر للنشر والتوزيع

**بلد النشر** : عمان

**سنة النشر** : دون سنة نشر

**رقم الطبعة** : 1.

**عدد الصفحات** : 203

**الحجم** : **متوسّط** .

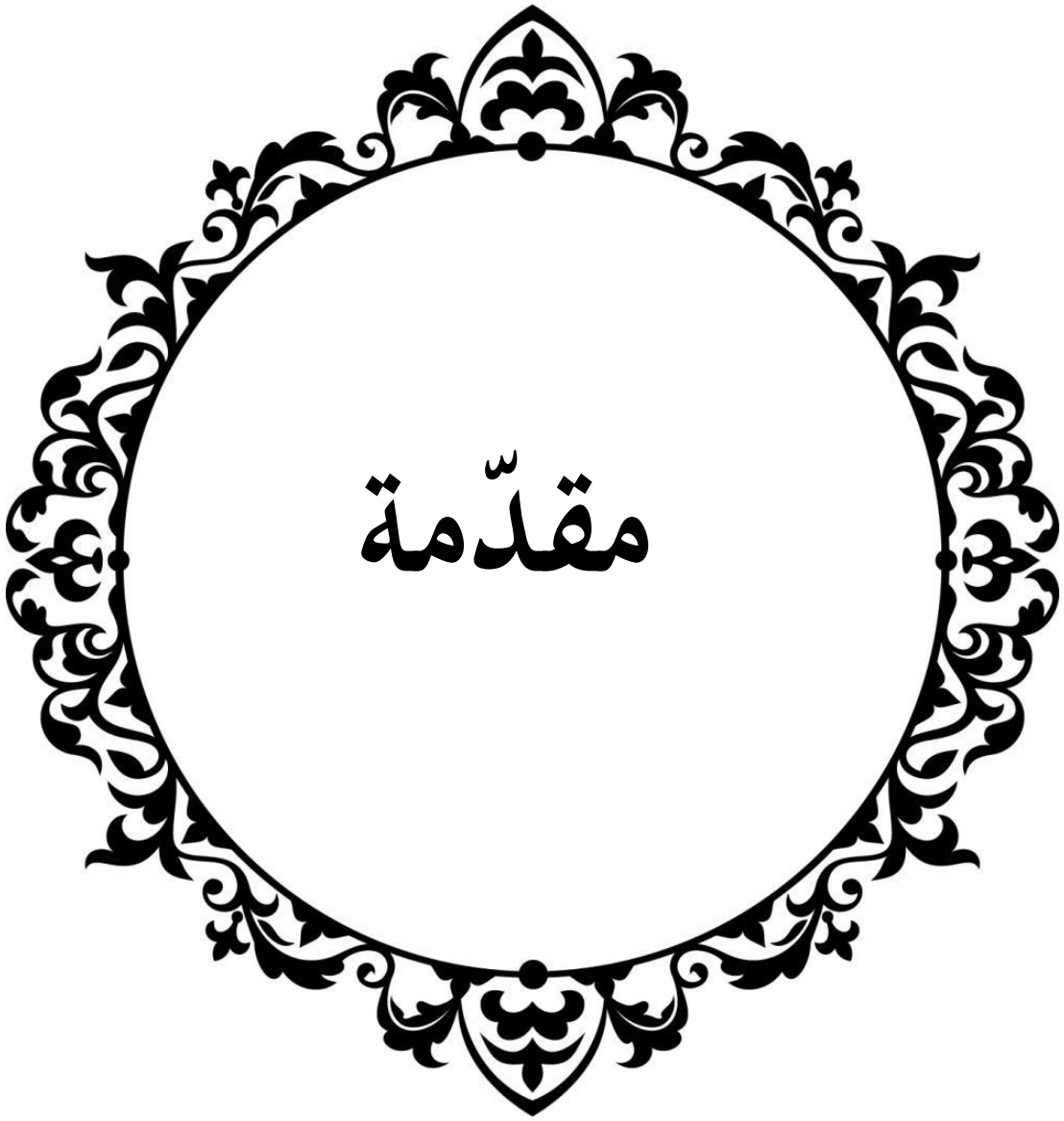

# مقدّمة

**مقدّمة:**

اللغة العربية لغة التنزيل والاعجاز والجمال والبهاء والفصاحة والبيان المبهر، وهي فيض من النور والإشراق تكمن عبقريتها، أنّها لغة متجذرة منذ القدم ومتجددة نظراً إلى ثراء معجمها اللغوي الضخم الهائل الَّذي يستوعب التليد والجديد في حقول المعرفة والعلم والثقافة والإنجازات العلمية والإنسانية المتسارعة في كل المجالات حافظت على أصالتها في كلِ عهد وزمان.

ارتبط ظهور الدراسات اللغوية عند العرب بالقرآن الكريم؛ إذ منذ اللحظات الأولى لنزوله أثار في الجزيرة العربية حركة فكرية ولغوية كبيرة؛ ألهمت العقول، وأسرت القلوب؛ حيث جاء بقيم دينية، وأخرى لغوية كان من شأنها أن تَتَمثَّل أبرز مظاهر الإعجاز الربّاني في كلام الله تعالى. فتوجّهت إليه نظرات الاهتمام البالغ في محاولة استجلاء أسرار إعجازه، وخصائص نظمه.

من هذا المنظور، تبوّأت اللغة العربية منزلة رفيعة في ظلّ القرآن الكريم، فأصبحت الشغل الشاغل لأبنائها، ولغير أبنائها من العجم – على تباين تخصصاتهم ودقّتها — من مفسرين وفقهاء ولغويين ونحويين وبلاغيين وغيرهم. لأجل هذا كلّه، لم تحظ أيّة لغة من اللغات، منذ خلق الله – تعالى – الإنسان بما حظيت به اللّغة العربية من العناية المستمرّة على ممرّ الأجيال والعصور. "وجاء كتاب دراسات في البلاغة لمحمد بركات محمد أبو علي ليؤكد ذلك"

فإلى أيّ مدى استطاع الكاتب أن يعكس ما تقدّم ذكره من خلال هذا الكتاب؟

تناول الكاتب مادّة كتابه مقسّمة على ثلاثة فصول كمايلي:

الفصل الأوّل: الإقناع البلاغي أو ووحدة علوم البلاغة وفيه استظهر أهمية دراسة البلاغة على اللغة العربية وفروعها الذي يكون باعثا على فتح المجال أمام التفسيرات البيانية للقرآن الكريم مما يؤدي إلى دراسة الإرث البلاغي ومحاولة تبسيطه للمتأخرين وكذا العمل به في صورة لا تقل ذوقا عما كانت إياه سابقا الفصل الثّاني: الحُسنُ البلاغي وتطرق فيه إلى مذهبه حول علم البديع

وتوازيه مع علمي البيان والمعاني، وعدّه من الحسن البلاغي وحسنه هذا ذاتي لا عرضي ، وأصل من أصول البلاغة في الحسن والإقناع والتوجيه.

الفصل الثّالث: أسلوب الالتفات بين التراث والمعاصرة.

وقد اعتمدت في دراسة الكتاب على مقارنة نصوصه بنصوص أخرى مقتبسة وذلك بالشّرح والتّحليل، معتمدا في ذلك على خطّة بحث تمثّلت في مقدّمة وفصلين وخاتمة استعرضت فيها نتائج البحث، قمت في الفصل الأوّل بتلخيص مادّة الكتاب، مراعيا في ذلك تسلسل فصول الكتاب وفي الفصل الثّاني قمت بدراسة بعض القضايا التي طرحها الكاتب معتمدين على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- الجاحظ، البيان والتبيين
- الرازي، الإيجاز في نهاية الإعجاز
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة
- أبو هلال العسكري، الصناعتين
- علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي
- عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب
- محمد العبد، المفارقة القرآنية
- عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم

و تماشيا مع طبيعة الدراسة فقد اعتمدناعلى المنهج الوصفي التحليلي، و كما هو شأنكل بحث علمي فقد واجهتنا صعوبات جمة إلاأنّها لم تثن من عزيمتنا في إنجاز المذكرة،و من هذه الصعوبات:

✓ صعوبة الحصول على الكتب في ظل الظروف الصحية الراهنة غير المستقرة والاعتماد الكلي على النسخ الالكترونية.

✓ كثرة المادة المعرفية وتشعبها وصعوبة حصرها.

لكن بالرغم من هذه الصعوبات كتب لهذا البحث أن يرى النّور و الفضل للهأولا ثم للأستاذ المشرف الذي كان عونا بتوجيهاته السّديدة.

وفي الأخير أتوجّه بالشّكر الخالص لوجهه سبحانه وتعالى بأن ألهمني الصّبر لإنجاز هذا العمل والله وليّ التّوفيق.

مدخل

**أولا: تعريف البلاغة لغة واصطلاحا:**

**لغة:**

هي الوصول والانتهاء، " يقال: بلغ الشيء أي وصل إليه، وانتهى إليه، وتبلّغ بالشيء وصل على مراده، والبلاغ ما يُتبلّغ به، ويتوصّل إلى الشيء المطلوب، بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، مبلغ الشيء منتهاه، رجل بليغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وبَلُغَ : صار بليغا، وتبالغ به الفرح والحزن: تناهى.... " .

**اصطلاحا:**

إذا ما جئنا إلى تعريف البلاغة اصطلاحا، ألفينا مفاهيم عديدة، نكتفي بذكر أهمها:

- يعرّفها " الجاحظ " بقوله: " كل من أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حُبسة، ولا استعانة فهو بليغ ".[1]
- ويرى " فخر الدين الرازي " أنّ: " البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخلّ، والإطالة المملّة ". [2]
- ويعرّفها " الخطيب القزويني " بقوله: " فأمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ".[3]
- وتتلخّص البلاغة من منظور " عبد القاهر الجرجاني "في أنّها " لا تكون في الحديث الملفوظ أو المكتوب، وأنّها لا تفصل بين العلم والذوق، ولا بين المعنى والمبنى، فالكلام كائن حي؛ روحه المعنى وجسده اللفظ ".

❖ بهذا فالبلاغة: هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، مؤثّرة في النفس. ولا

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ج1 ، ص113.

[2]- الرازي، الإيجاز في نهاية الإعجاز، تح/ سعد سلمان حمودة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2008، ص 37.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح/ محمد عبد المنعم خفاجين، دار الكتاب الحديث الكويت، د ط، د ت، ج 1، ص 41.

تخرج البلاغة عن معنيين: " **الأول** بلاغة المتكلِّم، وهي ملكة يقدر بها على تأليف كلام بليغ، و**الثاني** بلاغة الكلام، وهي مطابقته لمقتضى الحال، وقيل البلاغة وهي تنبّئ عن الوصول والانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلِّم فقط دون المفرد ".[1]

**نشأة علم البلاغة:**

لا شكّ أنّ محاولة كشف أسرار البلاغة القرآنية، وبيان دلائل إعجازها شكّلت لدى المسلمين باعثا هاما لوضع علوم البلاغة؛ فخدمةً للقرآن الكريم، وحرصًا على إبراز بعض صور إعجازه، اجتهد العلماء لوضع علوم البلاغة: المعاني، والبيان، والبديع وضعا تميّزه غاية الروعة وقمّة البراعة متكئين فيها على ما في القرآن الكريم من أوجه الإعجاز، ناسجين منه أجمل حُلّة وأحلى طراز.

وها هو ذا " العسكري " يشترط لمعرفة إعجاز القرآن البلاغي معرفة البلاغة العربية وتعلّمها. يقول: " وقد علِمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علمَ البلاغة، وأَخَلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خَصَّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ". [2].

بل ذهب أبعد من هذا، بقوله: " إن أحقَّ العلوم بالتعلُّم، وأَولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله – جلّ ثناؤه – علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرَف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحقّ ".[3] وبهذا يجعل معرفة البلاغة ضرورةً مُلحّةً في إدراك الإعجاز.

لم تنشأ البلاغة في البداية بهذا التقسيم المعروف ( المعاني والبيان والبديع )، بل كانت مختلطة المباحث، وكان يطلق عليها " علم البيان "، إلى أن ظهر " عبد القاهر الجرجاني " في القرن الخامس الهجري؛ فجمع متفرقاتها في كتابيه " أسرار البلاغة، و" دلائل الإعجاز "، وأقام قواعدها

[1]– الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1985، ص 47.

[2]– أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989، ص9.

[3]– المرجع نفسه، ص 9.

على أسس متينة. من هنا، عدّه كثير من الباحثين المؤسس الفعلي لها، والتي انتهت بظهور أكبر نظريات الدرس البلاغي في الثقافة العربية الإسلامية.

**ثالثا: مراحل تطور علم البلاغة**

**1_ في العصر الجاهلي:**

اشتهر العرب منذ العصر الجاهلي بفطرتهم السليمة وطبعهم الأصيل وبالفصاحة والبلاغة فكانت تعقد مجالسات للشعر، ومحاكمات أدبية للشعراء ولاسيما في سوق عكاظ. وكان النابغة الذبياني من الشعراء الذين كانوا يحتكمون عندهم فكان يبدى ملاحظاته على معانى الشعراء وأساليبهم، فكانوا يدركون بفطرتهم اللغوية الصامتة عناصر هذا البلاغة ومقوماتها دون الحاجة إلى تعيينها بأسمائها الاصطلاحية، بل دون الشعور بهذه الحاجة قط.

وقد ذكر القرآن الكريم ما يؤيد ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ** ﴾( **المنافقون: 4** ) وقوله تعالى" :﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ ( **البقرة: 204** )، وتحدث الرسول الكريم _ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم _ عن فصاحته، وذكر أصالتها في قومه ونفي اللحن عن نفسه فيقول" :أنا أعرب العرب، ولدتني قريش ونشأت في بنى سعد فأنى يأتيني اللحن " ، ويقول أيضا": أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش) ."

إلا أن العرب في بلاغتهم في الجاهلية لم يعتمدوا على الفطرة والموهبة فقط، ولكن كانوا يعملون على صقلها بالممارسة والتنقيح، ويحكمون على العمل الجيد من الردىء .وخير مثال لذلك المعلقات السبع وسوق عكاظ، ومدرسة زهير، التي كان أصحابها رواة يتخرج فيها بعضهم على أيدى بعض . ونشير إلى أن الجاهليين كانوا يحكمون على التذوق الجمالى بأسماء غير التي تعارف عليها البلاغيون في العصور اللاحقة .

**2_ في العصر الإسلامي:**

أخذت عناية العرب بالأساليب والفصاحة والبلاغة تنمو بعد ظهور الإسلام، بدافع المداومة على القرآن الكريم، والاستماع إلى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام .وقد تطور الأدب تطورا

سريعا بعد ظهور الإسلام بنحو نصف قرن حين نشأ الجيل الجديد من العرب واتصلوا بالأمم الأجنبية إذ أن البلاغة في هذا العصر لا تختلف كثيرا عن البلاغة في العصر الجاهلي فقد كانوا يجرون في أساليبهم على السليقة والطبع تارة، وعلى الدربة والتثقيف تارة أخرى. فيعطون اللفظ والمعنى حقهما ويصلون إلى الغرض من الإيجاز أو الإطناب أو المساواة على حسب ما يقتضيه المقام.

### 3_ في العصر الأموي:

في هذا العصر اتسعت الرقعة الإسلامية، وكثرة الأحزاب، وتعددت الطوائف فكان هناك الخوارج والشيعة والزبيريون والأمويون، فكانت تلك الطوائف لها أدبها وشعرها كطائفة النحويين واللغويين، والمتكلمين والنقاد والكتاب و الأصوليين، من فرد إلى فرد وكل عّلم من الأعلام، يسهم في إرساء القواعد وإقامة الدعائم ورصد الأحجار في البناء حتى اكتمل وصار شاهقا على يد عبد القاهر الجرجانى( ت 471 هـ) ذلك العالم الفذ، والإمام الأكبر الذى بلورها في ثوبها الفنى الرائع.

ويرى" ضيف " أنها قامت في هذا العصر بعض الأسواق كسوق عكاظ في العصر الجاهلى مثل سوق المربد في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة .بل لقد تحولا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعراء البلدتين ومن يفد عليها من البادية، لينشدوا الناس خير ما صاغوه من أشعار فيبدون ملاحظاتهم البيانية والتعبيرية.

### 4_ في العصر العباسى:

تطورت البلاغة العربية وازدهرت بمجيء الإسلام، ثم ازدادت كما وكيفا باتساع الرقعة الإسلامية ، وما شهدته في جميع مناصب الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية. وكذلك اشتهر العديد من العلماء في مجال البلاغة ممن كان لهم باع كبير نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: عبد الله بن المقفع ( ت، 143 هـ )، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى( ت، 210 هـ) صاحب كتاب" مجاز القرآن"، الفراء "صاحب كتاب" معانى القرآن "( ت، 207 هـ)،

الجاحظ (ت، 255 هـ) صاحب كتاب" البيان والتبيين، "والخطابى (ت، 388 هـ) صاحب كتاب" إعجاز القرآن، "وغيرهم كثيرون أمثال ابن المعتز، والرمانى، وأبو هلال العسكرى.

وبعد ذلك ازدهرت الدراسات البلاغية ازدهارا كبيرا، في العصر العباسى الثانى وذلك في القرن الخامس الهجرى، وذلك على يد عبد القاهر الجرجاني ، صاحب كتابى"دلائل الإعجاز " و"أسرار البلاغة." وكذلك هناك الزمخشرى صاحب كتاب" الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه لتأويل "( ت، 538 هـ) واهتم الزمخشرى بعلمى المعانى والبيان، وجعل لكل منهما مباحثه الخاصة به .وفي القرن السابع الهجرى اشتهر على بن ظافر المصرى، والسكاكى، وابن الاثير، وحازم القرطاجنى. وفي القرن الثامن، اشتهر الطيبى والزركشى .وفي القرن التاسع، اشتهر النواجى .وفي القرن العاشر، السيوطى .وفي القرن الحادى عشر، يوسف البديعى.

وقد اتجهت الدراسات البلاغية في أواخر هذا العصر إلى الجمود و التعقيد، حيث اعتمدت كتب البلاغة بعد ذلك على، التلخيص والشروح والحواشى والتقارير دون المتن الأصلى،حيث يرى شوقي ضيف في كتابه :البلاغة تطور وتاريخ أنه لم يعد هناك إبداع بالبلاغة بعد الجرجاني والزمخشري وإنما كانت مرحلة جمع وتصنيف وتقعيد وفصل للبلاغة عن الأدب، وسمى هذه المرحلة بمرحلة الجمود في البلاغة.

ومن البلاغيين الذين ظهروا في هذه المرحلة :الفخر الرازي الذي ألف كتاب :نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، وضياء الدين ابن الأثير صاحب كتاب :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، والخطيب القزويني، ومن ثم ظهرت البديعيات وهي قصائد مطولة تجمع – تقريبًا – كل الألوان البديعية .ومن أصحاب البديعيات صفي الدين الحلي، وابن حجة الحموي، والسيوطي، وعائشة الباعونية.

**رابعا: سيميائية الواجهة**

واجهة الكتاب جاءت بسيطة تحمل ثلاثة ألوان، اللون الأبيض غالب عليها بالإضافة الرمادي في الأعلى والأسفل أما اللون البني الفاتح فنجده في عنوان الكتاب والكاتب ودار النشر حيث جاء عنوان الكتاب بخط النسخ السميك كبير الحجم، أما اسم المؤلف فجاء أسفل الواجهة بخط أقل سمكا من العنوان.

**المادّة العلميّة للكتاب:**

استند الكاتب في تأليفه لهذا الكتاب على عدّة مصادر ومراجع قديمة وحديثة، أجنبيّة وعربيّة ممّا يجعل مكتبة البحث مكتبة ثريّة، ليس بالنّظر إلى تعدّد المصادر وكثرتها، وإنّما بالنّظر إلى اختلاف هذه المصادر وجودتها ونذكر منها:

- أحمد إبراهيم موسى : الصبغ البديعي في اللّغة العربية
- أحمد حسن الزيات دفاع عن البلاغة
- أحمد مصطفي المراعي : أصول البلاغة
- شوقي شيف: البلاغة تطور وتاريخ
- طه حسين: لغتنا والحياة

وبعد تتبّع اقتباسات الكاتب وإحالات الكتاب بالرّجوع إلى المراجع الّتي استقى منه مادّته العلميّة تبيّن لنا نزاهة الكاتب وأمانته العلميّة في النّقل.

الفصل الأوّل
تلخيص الكتاب

**تقديم :**

يستظهر محمد بركات في تقديمه للكتاب أهمية دراسة البلاغة على اللغة العربية وفروعها الذي يكون باعثا على فتح المجال أمام التفسيرات البيانية للقرآن الكريم ، مما يؤدي إلى دراسة الإرث البلاغي ومحاولة تبسيطه للمتأخرين وكذا العمل به في صورة لا تقل ذوقا عما كانت إياه سابقا .

كما أتبع تمهيده بأقسام كتابه التي جعلها كالآتي

- الفصل الأول: الإقناع البلاغي أو وحدة علوم البلاغة .
- الفصل الثاني: الحس البلاغي.
- الفصل الثالث: أسلوب الالتفات بين التراث والمعاصرة .

تتقدم هذه الفصول مقدمة أوجز فيها شرحا لكل فصل سيتناوله ثم أتبع هذا بخاتمة شملت أهم ما توصل إليه. [1]

[1] ينظر، محمد بركات حمدي أبو علي ، دراسات في البلاغة، دار المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، د.ط، ص 5،6،7.

**المبحث الأوّل: الإقناع البلاغي أو وحدة علوم البلاغة:** لقد افتتح الباحث محمد بركات الفصل بذكر أقسام البلاغة فكانت مشتملة على مقدمة وعلوم وخاتمة، فأمّا العلوم فهي معان، بيان وبديع، وأما المقدمة فهي الفصاحة والبلاغة، والخاتمة عن السرقات الشعرية وحسن التخلص، و العلوم فهي التي تجمع البلاغة ويوحدها تعريف شامل هو : مراعاة المقال لمقتضى الحال، مما يجعلها مهتمة بالمتحدث و المخاطب والوسط الذي يجمعهما.

حاول محمد بركات أن يجد اتصال بين علوم البلاغة وذلك من خلال تبيين مفهوم كل واحدة على حدى. فالمعاني حسب رأيه ؛ علم متأصل يبحث عن أحوال الألفاظ و فصاحتها مما يطابق مقتضى الحال ثم أشار إلى الرابط بين فصاحة الكلام وبلاغة الكلام حيث أن الفصاحة في الكلام خلوصه من ضعف التآلف وتنافر الكلمات والتعقيد وأما بلاغة الكلام فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، أي أن بلاغة الكلام مشتملة على فصاحة الكلام ولو عدنا لتعريف علم المعان لوجدناه هو نفسه[2].

[2]- ينظر، محمد بركات حمدي أبو علي،دراسات في البلاغة، ص11،12

أشار كذلك إلى أنّ مورد البلاغة العربية يكون بعد مراس ودربة في الأساليب الفصيحة الموجودة في القرآن والأحاديث النبوية وكلام العرب، أعقب كلامه هذا حول ضم الخطابة إلى فنون البلاغة معللا ذلك بما جاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ إذ جعل البليغ الفصيح والخطيب في كفة واحدة.

كما حدد مجال دراسة علوم البلاغة واشتراكها في مجال اللغة العربية لا غير وكذا مراعاة مقتضى الحال هي نفسها في العلوم الثلاث إذ أنها تراعي حال المخاطب والمتكلم ونبّه على نقطة مهمة كون الكُتّاب كثيرا ما يتحدثون عن البلاغة ومجال تأثيرها عن المتكلم نفسه والأمر يختلف في القرآن الكريم إذ أنّ المتكلم هو الله سبحانه وتعالى وبالتالي يختلف غرض الأسلوب البلاغي في ربط العلوم ببعضها البعض كما أشرنا آنفا لذلك محاولا تقصي مفهوم البيان القرآن الكريم عن بقية الأساليب فالله لا يرجو ما يرجوه البشر من وراء كلامهم كالتودد والطلب ومراء الحكام وغيرها

واصل محاولة ربط العلوم ببعضها كما سبق وذكرنا ووقف ها هنا إلى مفهوم البيان فيقول فيه : بأنّه إيراد المعنى الواحد بصيغ مختلفة مع وضوح الدلالة، هذه الأخيرة لها ارتباط وثيق بالمعاني [1]

حيث أنّ البلاغة لا يتم تأثيرها في النفس إلا بتمام دلالات مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحتها، احتج بذلك بما أورده السكاكي إذ أطلق عليهما علمي المعاني والبيان وهو أول من اسماهما علما ثم خالفه في تبغية المحسنات اللفظية والمعنوية لعلمي المعان والبيان وعدّهما من أصول علم البلاغة مشيرا إلى جعل علم البديع تابعا وذيلا لسابقيه حسب مذهب كثير من علماء البلاغة ، بينما مذهبه في ذلك معاكسا تماما إذ يرى بأنّ علم البديع يكون أصلا من الأصول إن توافر فيه المطابقة و وضوح الدلالة إن روعي فيه المطابقة وتطلبه المقام واتضحت من خلاله الدلالة والغرض منها.

تطرق إلى أن تقسيم البلاغة إلى علوم ييسر فهمها بينما فصل العلوم وعدّها مستقلة عن بعضها البعض أمر مرفوض ومعيب في نظره و أوضح اهتمامه بوحدتها ليتم دراسة القطعة الأدبية كاملة سواء

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص13 ،14

كانت شعر أم نثر وبهذا يكون قد خرج من نمط دراسة البلاغة من الجملة إلى المقطوعة كاملة مما لا يسمح بضياع الغرض .

كما نوّه إلى إمكانية اقتصار الفصاحة على عروبة الألفاظ واستعمال البلاغة بدلا من ذلك في وصف الكلمة والجملة والفقرة وذكر اللفظ والمعنى.[1]

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص 16،15 .

كما تحدث عن ضم الجرجاني للتجنيس والسجع إلى الحسن الذاتي وهما من أنواع البديع من أنواع البديع واشترط فيهما " أي الجرجاني" شروطا من بينها: أن يكون المعنى هو الذي يطلب اللفظ ، ترتيب المعاني في الذاكرة كترتيبها في الفكر مع سلامة سلامة الترتيب وصحته ومدى وقعه وتأثيره ، وبهذا يكون قد ضم البديع إلى الحسن الذاتي إذ اتفق مع علمي المعاني والبيان في الغاية البلاغية والإقناع البلاغي ، تماشيا مع مراعاة المقال لمقتضى الحال مع فصاحته، كما أضاف رأي الجرجاني في البديع ، أو ما أسماه بالحسن العرضي والفرق بينه وبين الحسن الذاتي وجوهر ذلك في إفهام الآخر دون تكلفة وإطالة وبحسب رأي محمد بركات أنّها أرقى ما وصل إليه البلاغيون في المواطن التي تحدد الحسن البلاغي.

ثم التفت إلى الحديث عن الدراسات الحديثة و أثنى على دراسات الأستاذ أحمد إبراهيم موسى في كتابه " الصبغ البديعي في اللغة العربية" ودراساته قائمة على الاتفاق مع من قال أنّ علم البديع حسن ذاتي ويناقش من عارض الفكرة، ويكون البديع عنده حسن ذاتي إذا تطلبه المعنى واتصل بالصورة الأدبية ، وأفاد وأمتع ، وأثر وأقنع ، وكانت دراسته خاصة بعلم البديع لأّن من سبقه ربط بين البيان والمعاني دون البديع فكانت دراسته هذه مطولة ودقيقة وتختص بالبديع وصلته ببقية علوم البلاغة.[1]

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص17، 21

انتقل إلى سرد الأمثلة التي تبين مواطن الإقناع البياني، ومن أمثلة ما ذكر: موقف الرسول صلى الله عليه وسلّم في خلع بردته لكعب بن زهير ، بعد أن أنشده لاميته المشهورة :

**بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول متيم إثرها لم يفد مكبول**

فسلوك النبي عليه السلام كان نتيجة تأثر من بلاغة كعب بن زهر ، و المثال الآخر عن سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ يقول: يا معشر غطفان من الذي يقول :

**أتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنونا**

قالوا: النابغة الذبياني، فقال : ذاك أشعر شعرائكم .

فحكمه هذا يتكئ على الذوق الراقي ومعروف عنه أنه لا يقول عن الرجل إلا ما فيه .

ثم تتابعت الأمثلة التي يجمع بينها وجود الرابط القوي بين التأثر النفسي من المرسل وشدة الذوق والإحساس عند المتلقي .

فالإقناع البلاغي قائم على أثر الكلمة وتخليدها للمآثر وأصل للوحدة في العلوم البلاغية من اللفظ إلى المعنى، إلى الفصاحة، إلى البلاغة ، إلى الدلالات فالتركيب ، فالانسجام ..[1]

ولعل أكثر مثال استند إليه الكاتب محمد بركات ليخرج بفكرة وحدة علوم البلاغة، هو قصة أخت أو بنت النضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ استوقفته وهو يطوف وجذبت رداءه، حتى انكشف منكبيه ، وقد قتل أخاها أو أباها فأنشدته باكية:

**أمحمد ياخيرصنء كريمة في قومها والفحل فحل معرق**

**ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفتى وهو المغيظ المحنق**

**أو كنت قابل فدية فلينفقن بأعزّ ما يغلو به ما ينفق**

**فالنضر أقرب من أسرت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق**

**ظلت سيوف بي أبية تنوشه لله أرحام هناك تشفق**

[1] ينظر،محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص21، 33

**صبرا يقاد إلى المنيــة متعبا رسف المقيّد وهو عـان موثق**

ويقال أنّ الرسول الكريم لما بلغه شعرها قال : لو بلغني هذا قبل قتله، لمننت عليه. فقد اجتمعت علوم البلاغة حتى قال النبي ما قاله ومثلت وحدتها في الصورة الشعرية فالإقناع إذن يستلزم العالي من القول العربي [1]

وهناك ما يرجح هذا الإقناع وهو النظرية المعرفية إذ تتوارد المعاني والخبرات من خلال المقولات فيقر بعضها ويرفض الآخر و يؤلف بين الضريب وضريبه و ينفي الوصل والقربى بين الأضداد والمتنافرات وما إلى غير ذلك كما تطرق إلى مسألة الذوق أو الحاسة السادسة كما يصطلح عليها علماء النفس حيث أنّ المستمع يرجح قولا على آخر من غير علّة واضحة ، إلاّ أنّ المرجح مكتسب لخبرة طويلة ، وهذا عند البلاغيين يسمى بالجلال ولا يكون هذا عند كل إنسان بل من صاحب دربة كما سبق الذكر.

ليتدرج في الحديث بعد ذلك إلى مفهوم البلاغيين في دراسة الإقتناع البلاغي، بحيث ينبغي على المتكلم في ألفاظه أن يتبع الأحسن والآنق في ثلاث مواضع ، هي المقدمة وحسن التخلص و الخاتمة، حتى تكون أعذب لفظ وهذا ما تنبه إلية القدماء برأيه ، على أن تشتمل البلاغة على العلوم الثلاثة مجتمعة و أوضح ذللك بضرب مثال في إيضاح قول الله تعالى: "وآية لهم الليل نسلخ منه النّهار"[2] فإنّ المستعار له هو كشف الضوء عن مكان الليل دلالة على الترتيب، والترتيب أمر عقلي وبيان ذلك: أنّ الظلمة هي الأصل والنور فرع طار عليها، فإذا غربت الشمس فقد تسلّخ النهار من الليل فجعل ظهور الظلمة بمنزلة ظهور المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه، ثم يعقبه قوله تعالى:" فإذا هم مظلمون" ، لأنّ واقع الحال هو الظلام

هذا مثل في وحدة العلوم الثلا بما فيها من مقدمة في الفصاحة، والخاتمة من حسن الابتداء وحسن التخلص والانتهاء. ويحتج لهذا بأنّ القدامى من البلاغيين ما قسموا علوم البلاغة الأمر الذي يجعل

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص33، 35

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص36، 38

كل واحدة مستقلة عن الأخرى ؛ بل كان هدفهم من تقسيمها إلى تيسير حفظها، والاشتغال بها على صورة سهلة ، فالغاية منها على أيّ حال هو الانتفاع بها لفهم الإعجاز القرآني وفن القول العربي

ولو تتبعنا يقول محمد بركات حديث القدماء عن اللفظ والمعنى لوجدناه يدور في فلك الوحدة بين العلوم إذ أنّ اللفظ جسم والمعنى روحه، أو عن الصيغة والطبع فهي الأخرى لا تخرج عن إطار الوحدة بين العلوم البلاغية [1]

ثم يتساءل ليقحم القارئ ويقنعه برأيه: هل الإقتناع بشكل الشعر وما يحمل من معاني ينظم إلى علم البيان، أم البديع، أم المعاني، أو الفصاحة، أو البلاغة، أو حسن التخلص ، أو الخاتمة الجيدة؟ أو لأجل هذه المصطلحات مجتمعة تحت إطار واحد ، وهو وحدة هذه العلوم في دائرة الإقناع البلاغي!

تابع الحديث عن مظاهر الإقناع البلاغي البلاغي إذ يقول : بأنّ البلاغة وردت باسم النقد والعكس، مما يفسر تآلف فنون البلاغة حتى أنها عدّت وسيلة من وسائل النقد عند ابن رشيق القيرواني ، ثم تكلم عن بعض ضروب الإقتناع البلاغي كالتشكيك والتكرار مع تقديم أمثلة من القرآن والكلام العرب ، وكذلك فعل مع الحكم على شاعرية شاعر إذ يتقدم في ذلك الإقناع البلاغي [2] وسرد مجموعة من الأمثلة لتدعيم رأيه في مذهبه هذا.

أشار إلى أنّ الإقناع البلاغي، الذي اعتمد على وحدة علوم اللغة سماه بعض الدارسين في العصر الحديث باسم " فلسفة البلاغة العربية" وحديثه في ذلك توضيح لوحدة هذه العلوم ومن بين الأسماء التي ذكرها حلمي مرزوق من خلال محاضراته .

ثم استرسل في ذكر الحقيقة والمجاز في في القرآن وكلام العرب وعلاقتهما بالإقناع البلاغي إذ يقول: المجاز أبلغ من الحقيقة كذلك في بعض الأحيان يكون للحقيقة دور وتأثير وإفادةلا تقلّ عن

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص38، 40

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص 38، 40

المجاز، ومثال على ذلك قدّم قول العباس بن الأحنف ، الذي أفرد ديوانا كاملا في الغزل الذي يعكس نوازعه النفسية يقول:

**حدثوني عن النهار حديثـا أو صفوه فقد نسيت النهار.**

قد أجمع النقاد والأدباء والبلاغيون على صدق هذا البيت على نفسية ابن الأحنف تجاه محبوبته "فوز" فكان هذا المثال المثال ضرب من الجمال الحقيقي أمّا من المجاز فما ذكره امرؤ القيس في محبوبته:[1]

**وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهمـوم ليبتـلي.**

**فقلت له لمّا تـمطى بصلبـه وأردف إعجـازا وناء بكلكل.**

**ألا أيّها الليل الطويـل ألا انجل بصبح وما الاصباح منك بأمثل.**

ويقول أنّ الكلام بحقيقته ومجازه يكون بليغا إذا تناسب مع المقال والحال، لذا لم ترتبط أبلغية الكلام بحقيقته ومجازه ، إنما بقدر اقناعه وأثره.

وعلل لم ذهب جمهور البلاغيين إلى تفضيل المجاز على الحقيقة فيقول : أنّ الكناية أبلغ من التصريح ؛لأنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته من إثباته فجعلته أبلغ وأكثر وأشد.

ذكر بعد هذا ما يعتمد عليه الإقناع البلاغي فجعله مشملا على الترتيب ، والحجة، وقوة الشرح، والتوضيح، والتفسير، وتندرج في المعجميات.

وأشار إلى السلم البلاغي المعتمد عند البلاغيين فجعل القرآن الكريم ومن مقربة منه الحديث النبوي في أعلى الهرم ومن ثم فصيح كلام العرب ، والدرجة الدنيا من السلم للمجانين والعجمان ، وكلما ترفع البشر في بلاغتهم كان كلامهم مرتبة علية والعكس، وبهذا فإن الناس لا يجمعهم مستوى واحد بل هم متفاوتون فيها .[2]

ثم تطرق إلى محاولة فهم بلاغة القرآن أو الحديث أو كلام العرب لا يكون بجرد الاستعارة والكناية أو أيّ لون من ألوان علوم البلاغة (بيان، بديع، ومعاني )

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص45، 53

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص54، 55

بل يضاف إلى ذلك ما تبدى في مناشط الحياة ، وهذا يوضح رسالة البلاغة التي تحمل قيّم اجتماعية ونفسية و خلقية ، تؤدي إلى بناء الفرد والمجتمع.

ومن ثم يضيف أنّ بعض البلاغيين قد وضح صلة البلاغة بالعلوم الأخرى كالنحو، والصرف، والأصوات، والأدب... وغيرها ، وعدّد مجموعة من الأمثلة من القرآن والحديث وفصيح العرب ما يدل على وحدة علوم البلاغة مرة أخرى .

ويضيف على ما تقدم أنّ البلاغة كما تكون في ذكرنا، تكون كذلك في هواجس النفس والمناظرات والأسلوب، والأسلوب عنده هو: القالب الذي يصبّ فيه الكاتب أفكاره. ويكون الإقناع البلاغي في الأمثال والقصص وبيّن ذلك في عدّة مواقف ، ثم ذكر التوقعات على أنّها وجه من وجوه الإقناع البلاغي وكذا قبول الشيء من مورده وفي مستواه يمثل ذلك أنّ يُتقبل من أشعب الطماع لا يقبل من غيره القنوع ، ومن مظاهره أيضا تنوع القيم الإنسانية وأخذ بزمام الأمثلة فعدّ جملة منها تخدم فكرته، نقتصر على ذكر واحدة حيث يقول صفوان :" لسان الرجل أوجه شفائه، أنفذ سلاحه بين أعدائه، به يتصل الودّ وينحسم الحقد". كما أنّه لم ينس ذكر بلاغة النساء وإقناعها و أورد في ذلك مثال موضح.[1]

ليخلص نهاية الفصل إلى أنّ الإقناع البلاغي لا يقتصر على فن دون آخر أو علم دون غيره ، بل تتحد فيه علوم البلاغة بما في ذلك من فصاحة وبلاغة، وخاتمة في البداية و حسن التخلص والخاتمة مشيرا إلى أنّ هذا يقرب البلاغة إلى الجيل الذي عاصره دون أن يتنكر لجهود من سبقه [2]

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص 56، 70

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص70.

**المبحث الثاني: الحس البلاغي.**

افتتح الفصل بدراسة كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري الذي ذكر فيه البلاغة ، حيث قارب بين البلاغة عند العسكري وعند علماء العصر الحالي إذ يصطلحون عليها " البلاغة التطبيقية" والتي تحمل معنى القيمة البلاغية أكثر مما كان سائدا في عصره حولها، كما أنّه أضاف مصطلح جديد وهو البلاغة الغريزية.

ثم تطرق إلى مفهوم الحسن البلاغي عند العكسري فقال: البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه أي قوة واضحة غير مشكل المغزى، كما أنّه قول يسير يشمل على معنى خطير .

لم يقتصر العسكري على ذكر البلاغة العربية بل زاد عليها البلاغة الفارسية ، مما عمد إلى وضع مقارنة بين بلاغة العرب والعجم وتفضيل إحداهما على الأخرى، من ناحية فصاحة اللفظ، يقول محمد بركات أنّ مسألة تفضيله ليست من باب رفع للغة وحط أخرى ، بل خدمة للغته ، ومن هنا أكدّ على أنّ البلاغة قيمة في خدمة الفرد وبناء المجتمع ولهذا ينقل من بلاغات العجم ما يؤكد ذلك، وسرد مجموعة من الحكم الفارسية التي وافقت قيّم العرب نذكر على سبيل التوضيح، قال أنوشروان لابنه هرمز: لا يمكن عندك لعمل البرّ غاية في الكثرة، ولا لعمل الإثم غاية في القلة. قارب هذا مع قول الشاعر العربي:[1]

**والخير تزداد منه مالقيت به والشر يكفيك منه قلما زاد**

كما سبق وذكر هذه المقارنة بين بلاغة الفرس والعرب إنّما هي في بناء الفرد وخدمة الإنسان ورغبة في التقدم والنهوض بالجماعة.

ويوضح مسألة الفرق بين البيان والبلاغة إذ يرى أنّ البيان أعمّ من البلاغة فالأول هو الإيضاح في فن القول أو البلاغة هي حسن في طي البيان وهذا مذهب غالبية علماء البلاغة .

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص73، 75

وذكره من بين ما يكون فيه الحسن البلاغي ففي منزلة من منازله يكون في بداية الكتابة مثل التحميد وضرب لنا مثلا في قول بعضهم: الحمد لله الذي جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته، ومعارف ترشدنا إلى الإقرار بربوبيته، ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته.

وذكر بعض المصطلحات التي أوردها أبو هلال للدلالة على الحسن البلاغي قوله: بليغ، وأباغ، ومليح، وأحسن، ومن أجود ماقيل، عتب عليه في بعض هذه الأسماء إذ يرى أنّه من عدم الموضوعية أن يعمم الحكم فيقول: أجود ماقيل، أو أمدح بيت قالته العرب[1]

يواصل ذكر العسكري ومذهبه في الحسن البلاغي فيقول : جعل من الحسن البلاغي، النقد، وأحسن النقد ما احتكم إلى القواعد العلمية، أمّا مجال الحسن البلاغي عنده جعله في النظم والنثر و الخبر و الشعر وغايته من ذلك بعث النشاط للناظر فيه وحتى لا يمل القارئ، وتمثل الحسن البلاغي في كتاب العسكري في الإنسان، والكون، والحياة، والحيوان، والاجتماع، والحضارة، والثقافة، مقسمة في ديوانه على إثني عشر بابا.

ويخلص إلى أنّ ديوانه هذا ليس بكامل إذ أنّ الكمال لله وحده، ويفتح المجال للدارسين في أن يضيفوا عليع أو أن يصححوا مازلّ.[2]

و ذكر من ألوان الحسن البلاغي، التفريق في المعنى حيث يتم تبين معنى اللفظ في النصوص وهذا التفريق في المعنى من حيث القيمة الأدبية يكون بغية إيصال الأثر البلاغي الذي يشمل على النقد والأدب و البلاغة، كما يتمثل الحسن البلاغي، في حفظ المأثور من الشعر الذي يتمثل فيه حديث النفس وهموم القلب وغيرهما.

وقيمة الحسن البلاغي والتأثر بهذه القيمة يكون بقدر ما يقع في نفس المتلقي ومن هنا كان الحسن البلاغي مرتبطا بالناحية النفسية والجدانية للمتلقي، ويدعم مذهبه هذا بأمثلة من النثر والشعر، ثم يضيف أنّ الحسن البلاغي يتبع معنى الأخذ والتتبع في المعنى كما أنّه يعتمد على التواصل العاطفي

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص76،81

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص81، 83

بين المرسل والمستقبل للأثر الأدبي نأتي بمثال من الأمثلة التي ذكرها، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

**خرجت غداة النعر أعترض الدمى فلم أر أحلى منك في العين والقلب**

**فوالله ما أدري أحسنا زرقته أم الحب يعمي مثل ما قيل في الحب**

وهذا يوافق قول النبي :" حبّك الشيء يعمي و يصمّ "[1]

ومن ذاك حكم المتذوقين في أجود ما قيل في حسن الحبيب، ووقعه في عين المحبوب.

ثم تناول عدة مواطن في الحسن البلاغي في غير الحب كالشكاية، ووصف الديار، والتشبيه، والحنين إلى الأوطان، والمعاني الإنسانية كمعنى السلام، والسفر والدعاء والتفاضل بين الإخوان، وإشاعة الألفة، والتواضع، والفراق، وغيرها من معالم الحسن البلاغي التي مثّل لكل واحدة منها بمثال عن كلام العرب ليوضح للقارئ معانيها.

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن صور الحسن البلاغي ومنها اتفاق مواقع الاستدلال مع الكلام من شواهد وغيره مما يستدل به القائل في كلامه، وتكون هذه الاستدلالات إما محاكاة أو تخيلات ويعرف المحاكاة على أنّها صورة من صور الحسن البلاغي الذي يراعي تماثل الأجزاء في الشيء المحاكي.[2]

قد وضع شروطا لاكتمال الحسن البلاغي وافق ما قاله البحتري نقلا عن أبي تمام إذ أوصاه بأن يتخيّر الوقت المساعد، واجمام الخاطر كيف مال. وبهذه الوصية ينتفع الناقد، والشاعر، والناثر، ولم يكتف بشروط أبي تمام بل أضاف ما زاده حازم القرطجني على هذه الوصية منها تبعية الوزن والقافية للمعاني إلا أنّه _أي محمد بركات_ لا يوافق رأي القرطجني في التبعية فيقول: "ونحن نرى ألا تبعية بين المعاني، والوزن والقافية.. بل الحسن البلاغي يتبدى من خلال ائتلافها"[3].

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص83، 86

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص87، 94

[3] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص 96، 97

ويضيف كذلك التشبيهات إذ أنّها من الملاحظ الدقيقة في الحسن البلاغي، ووجه الشبه على قسمين منه ما يتعلق بالصور والخلق ومنه ما يتعلق بالصفات، ووجب أن يتفق المشبه والمشبه به في صفة فإن اتفقا في كل الصفات فهو حقيقة ذاك المشبه به، واحتج لرأيه بما ورده عن الجرجاني في هذا الموقف.

بالإضافة إلى ماتقدم فإنّ الحسن البلاغي يتمثل في مسالك الشعراء حسب أساليبهم، فمنهم من يقصد النفوس الرقيقة ومن يقصد النفوس الخشنة، وفي كل الحالات فإنّ الأساليب تؤنس النفوس من توالي المعاني، ويزيد على هذا أنّه من غير الجدير أن يسلك الشاعر مسلكا واحدا ، فالتصرف بهذه الطريقة يحسن موقع الأساليب على النفوس.

ثم خصّ الحديث عن النثر، فكما للشعر حصة في الحسن البلاغي فللنثر كذلك، واحتج بها في كلام العرب، ويتمثل ذلك في اللغة التأليفية للكاتب، ومما عابه على لغة ابن الأثير في كتابه عن الالتفات قوله: "وتناسب هذه المعاني الشريفة الأقدام تكاد تطؤها " بعدما تكلم عن سورة الفاتحة من التفات الخطاب إلى الغيبية .[1]

كما أشار أنّ من الحسن البلاغي أن يكون المتكلم قد اطلع على علوم وثقافات أخرى. ومما ينبغي لهم ألا يخالفوا القدماء في عوائدهم ومقاصدهم، فإنّ غير ذلك يعاب على القائل، ومن الحسن أيضا بروز شعر الشاعر، ثم التمثيل به من غيره ، وكذلك اتفاق القائلين في غرض واحد إذا شاع بين الناس، فهذا لا يعدّ من السرقة بل إنّه قد تقرر في النفوس .

والحسن البلاغي لا يكون في اللفظة فقط ولا في المعاني فقط، بل في ألفاظ يعبّر بها عن معان، ولكن ليس كيفما وقع ، لذلك كان للبلاغة مذاهب تراعى، ومقاييس تعتبر عند الكتابة، وأثر للحسن في تفضيل البلاغة عند المتلقي صاحب الذوق الرفيع.

[1] ينظر، المرجع نفسه، ص 98، 101

والحسن البلاغي لايكون عند العرب فحسب بل يتعدى ذلك إلى ما اتفقت عليه الأمم الأخرى، وتباعا لهذا وجب على البلاغي في نظر الباحث محمد بركات أن يتبع جريه في أركان البلاغة وذلك بدراسة العلوم والآداب وحفظ مجامع اللغة والنظر في أحكام القرآن والسنة.[1]

ثم بعد هذا واصل ذكر بعض ألوان الحسن البلاغي وغاياته ومنه أن يكون البليغ الكامل، هو الذي تكون الألفاظ عنده غريزة، والمعاني في نفسه كثيرة، أي لاتكون ألفاظه زائدة على المعاني ولا ناقصة عليها، وذكر أيضا المحاورات المستحسنة، وعدم إفراط الإيجاز، وإغلاق اللفظ في التأليف.

وأشار أن الحسن يكون في البديع ومن ذلك الحسن البلاغي أيضا ماجاء من خبر الرسول عليه الصلاة والسلام إذ كان يحب المقال الصالح، ويكره التشاؤم، ومنه أيضا إرسال المثل وهو من أنواع البديع، ومن أنواعه أيضا ما يدخل في الحسن كالمراجعة وحسن التخلص و ائتلاف المعنى وجه من وجوههم، والتوهيم.

ليخرج في خاتمة الفصل إلى محاولة تثبيت مذهبه حول علم البديع وتوازيه مع علمي البيان والمعاني، وعدّه من الحسن البلاغي وحسنه هذا ذاتي لا عرضي ، وأصل من أصول البلاغة في الحسن والإقناع والتوجيه.[2]

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص 102، 107

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص108، 122

**المبحث الثالث: الالتفات بين التراث والمعاصرة :**

يوضح الباحث محمد بركات بداية هذا الفصل انطلاق البلاغيين في وصف ظاهرة الالتفات فيقول: بأنّ دراستهم أشارت إلى الالتفات من الجهة الاصطلاحية لا اللغوية وذلك بأخذ اللفظة من التفات الإنسان يمنة وشمال، ومنه فالمتحدث ينتقل من صيغة إلى أخرى في كلامه ، وبعضهم خصّ الالتفات بالقرآن الكريم ولم يشر إلى لغة العرب ،وبعضهم اقتصره على لغة العرب ولم يشر إلا إلى آية أو آيتين في القرآن الكريم .

و هناك من نظر إليه على وجه العموم واكتفى بضمه إلى أنواع البديع دون أن يوليه أهمية تذكر وذلك من منطلق أنّ البديع حسن عضي وزائدا في البلاغة وما الالتفات إلا جزءا من البديع، وبعضهم ضمه إلى علم المعاني .

لهذا يفسر محمد بركات اقتصار الكتب القديمة حول ذكر تعريفه وأنواعه دون التطرق إلى أثره النفسي وصلته بالذوق والنظم محاولا الجمع بين الدراسات القديمة والحديثة حول الالتفات ليبرز قيمته و صلته بالقيمة الحديثة المصطلح عليها بالمفارقة[1]

**الالتفات وتدرجه عند العلماء:**

تحدث بدايةً عن كتاب " المثل السائر والجامع الصحيح" لضياء الدين بن الأثير، فرأى بأنّه لم يعرض تفصيلات اللغويين ولم يدمج المعنى اللغوي بالاصطلاحي والفني، وإن كان هو أول من أفرد إليه بابا خاصا به في كتابه. ناهيك عن الانتقادات التي لحقت الكتاب وبالتالي حدّ تعبيره يحتاج إعادة نظر.

بناءً على ما تقدم آثر محمد بركات أن يأخذ بمصطلح الالتفات عن الأصمعي وقدامة وأبو هلال العسكري والعلوي و ابن الأصبع ، نفصل في مذهب كل منهم عن الالتفات لاحقا وفقا لترتيب الفصل .

[1] ينظر، د.محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص125، 127

**المفهوم اللغوي:**

تباينت مرادفات المادة لفت لكن جميعها اشتملت على معنى القوة، والجهد، والسلب، والايجاب. ولا يمكن عزل اللفظة من السياق في تبيان معناها التام، لذلك أورد عدّة أمثلة ليخرج بمعنى اللغوي للفظة ، فكانت ترادف اللّي، والعطف، والنظر، والمزج، والخلط، والفتل...إلخ [1]

ثم أسقط هذا على الجانب الاصطلاحي وذلك بإيراد مجموعة من الأمثلة وتوضيح الغاية البلاغية من موضعها وربطها بالاستجابة النفسية ، والسلوك الإنساني ، ومن أمثلة ما قال : قول الحجاج لامرأته : إنّك إمرأة لفوت أي؛ كثيرة التلفت إلى الأشياء، وقيل أنّ اللفوت التي لا تثبت عينها في مكان واحد، إنما همها أن تغفل عنها فتغمز غيرك، وهذا استجابة لنوازع نفسية يترجم إلى سلوك .[2]

أما الالتفات عند العلماء كما فقد أوردهم على النحو الآتي:

**عبد الله المعتز**: أورد بابا في كتابه" الصور البديعية بين النظرية والتطبيق" في الالتفات حيث عرّفه: بأنه انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، حيث اعتبر أنّ قيمة الالتفات البلاغية في المعنى الذي يحمله وإن لم يحمل معنى جديدا فلا قيمة له.

وعلل محمد بركات سبب تقديم عبد الله المعتز عن الأصمعي إذ أنّ هذا الأخير عرف الالتفات وأشار إليه لكنه لم يحدده كما فعل علماء البلاغة في العصور المتقدمة [3].

**قدامة بن جعفر**: سار على نهج ابن المعتز غير أنّه أول من عرض أمثلة عنه من القرآن الكريم في اعتقاد الكاتب وشرحها ، فيعرفه قائلا: ومن نعوت المغاني: الالتفات: وهو أن يكون الشاعر آخذا في المعنى، بخطأ يعترضه إما شك فيه أو ظن بأنّ ردا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجحا إلى ما قدمه فأمّا أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه.

---

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص128، 130

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص130 ،135

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص135، 137

يعقب محمد بركات عن تعريف قدامة أنّه اثبات للأزمة المعنى وصلتها بالنفس في مفهوم الالتفات، مؤكدا ذلك من خلال أمثلته المتنوعة.

يضيف أن قدامة وابن المعتز قد أولاه أهمية لما له من قيمة بلاغية تسطع في النفس.

**أبو هلال العسكري:** أورد الالتفات في كتابه" الصناعتين" في الفصل العشرين من الباب التاسع إذ يعرفه : الالتفات على ضربين، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنّه يريد تجاوزه يلتفت إليه فيذكره لغير ما تقدم ذكره .

والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذا من معنى وكأنه يعترضه شك، أو ظن أن رادا يرد عليه قوله ، أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه، فإما أن يؤكده، أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه" [1]

والملاحظ من ضربه الثاني أنه يطابق تعريف قدامة بن جعفر، وبهذا يكون العسكري قد تحدث عن ضربين من ضروب الالتفات وقد تشابه وسابقيه بأن عرضوا موضوع الالتفات وقيمته في البلاغة العربية.

**ابن رشيق القيرواني:** يرى الكاتب بأنّ ابن رشيق أوضح ممن سبقوه إذ يعرض الالتفات بتعريفات عدة فهو يجعل الالتفات وقيمته البلاغية في ضوء مناسبة النص ، يعقب محمد بركات عن هذا فيقول : أنها أقصى غاية يمكن أن تلحق فن الالتفات .

أبو يعقوب السكاكي: تطرق إلى الالتفات في كتابه" مفتاح العلوم" في موضعين فهو لا يهتم به إلا إذا اتصل بالمعاني ، فذكره في الموضع الأول في علم المعاني ، وفي الموضع الثاني في المحسنات المعنوية، ويرى بأنّ الالتفات يكون مفيدا ومؤثرا إذا كان حاملا المعنى، في أسلوب جيد وملائم مع الأجزاء ، وفي إشارة من محمد بركات أن الالتفات يكون في المعنى لا الصورة ، والصورة عند المحدثين هي الشكل والقالب اللفظي، أو الشكل والمضمون معا.[2]

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص136، 139

[2] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة،ص137، 145

**ابن الأثير**: في كتابه "المثل السائر" ذكر الالتفات وصنّفه في خانة علم البيان وخصّه بالعربية دون سائر اللغات ، تعارض هذا مع فكر محمد بركات إذ اعتقد أنّه يتجاوز اللغات الأخرى لا سيّما أن الالتفات فيما بعد قد توافر في لغاتهم بزخم كبير وهو ما يسمى في الدراسات الحديثة بـ: المفارقة

ثم عاد إلى الكتاب فوجد أنّ ابن الأثير قد قسم الالتفات إلى ثلاثة أقسام وهي:

1) الرجوع من الغيبية إلى الخطاب والعكس.
2) الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، والماضي إلى الأمر
3) الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل والعكس.

كما ربطه بالمقاصد النفسية ولا يكون عنده بالذوق وله صلة بالنظم.

**ابن أبي الأصبع المصري**: نقل أقوال قدامة بن جعفر وابن المعتز دون تعليق عليها زائدا عليهما نوعا جديدا في الالتفات يقول: وفي الالتفات نوع غير النوعين المتقدمين وهو أن يكون المتكلم آخذا في معنى آخذا في معنى فيمر فيه نوع يفرغ من التعبير عنه على وجه ما، فيعرض له أنه متى انتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولا من وجه غير الوجه الذي بنى معناه عليه فيلتفت إلى الكلام ، فيزيد فيه ما يخلص معناه من ذلك الدخل "[1]

كما فرق بين الاحتراس والالتفات، إذ يكون الالتفات برأيه في آية واحدة والبيت الواحد إنما بالاحتراس والانفصال لا يشترط ذلك، وعلق محمد بركات على نقل ابن أبي الأصبع عن قدامة إذ يتكلم الأخير عن الشعر فقط بينما تصرف ابن أبي الأصبع وجعله كأنّه أخذ عن الشعر والنثر.

**يحي بن حمزة العلوي**: شابهه إلى فكر ابن الأثير إذ أنّ كليهما أبرزا قيمة الالتفات في البلاغة العربية وبيّنا منزلته ، وتوافقا في التعريف وفي ضمه إلى علوم المعاني، وقد ربط العلوي قيمة الالتفات بحسب موقعه من الأسلوب وبلاغته تظهر في التركيب وبهذا يكون قد نحى برؤيته منحى النظم .

وقد فنّد_أي العلوي_ رأي ابن الأثير في كون الالتفات خاص بالعربية دون غيرها، واتفق مع الزمخشري في فائدة الالتفات .

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص146، 149

كما أشار محمد بركات إلى أسلوب العلوي وذوقه الأدبي الذي يتمتع به في عرض الأمثلة إذ يبين فن البلاغة من حيث هي فن ولا يعرض الأمثلة جافة جامدة كما يعرض الأمثلة في بقية العلوم، وبهذا يكون قد لمح إلى معنى البلاغة فنا ومعناها علما. [1]

**خليل بن أبيك الصفدي:** لقد عرض مسألة الالتفات من الوجهة النقدية إذ خالف علماء البلاغة ــوهو ليس منهمــ في الحديث عن أنواعه وضروبه إنّما تحدث عن النقدية والبلاغية وإلى الفائدة فيه. كما أنّه ضمّ إلى الالتفات: الانتضاب والتخلصات التي هي نوع من أنواع الالتفات شرط أن يكون متصل بمناسبة وإذا انعدم من المناسبة يكون الالتفات قد فقد قيمته البلاغية ويكون بهذا شكلا من غير محتوى.

**الالتفات بين ثلاثة كتب:**

لقد جمع مواطن الالتفات من خلال ثلاث كتب وهي:

1) بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري.
2) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزركشي.
3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

أحصى الآيات الواردة فيهم عن الالتفات ولاحظ أنّ أغلبها آيات مكية وذلك لأنّ خصوصية المكية كانت في تثبيت العقيدة، بينما الآيات المدنية اتسمت بسن الشرائع والأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات وغيرها، وأنّ جميع ما ورد في هذه الكتب من الآيات المدنية قد تشابهت في خصوصيتها بالآيات المكية .[2]

كما أضاف أنّ ثلاثتهم اهتموا بالقيمة البلاغية من الوجهة النفسية المبنية على الأسلوب والنظم المستقيم وهذا كله خدمة للقرآن.

[1] ينظر، مح مد بركات ، دراسات في البلاغة، ص150، 152

[2] ينظر، محمد بركات ، دراسات في البلاغة، ص153، 159

أشار أيضا إلى إضافة ابن أبي الأصبع نوعا جديدا من الالتفات وهو أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه بالإخبار عن الثاني ثم يعود للعكس وتوضيحا لهذا أورد قوله تعالى: " إنّ الإنسان لربّه لكنود وإنّه على ذلك لشهيد" فقد انصرف عن الاخبار عن الله عز وجل إلى الإنسان في قوله: " وإنّه لحبّ الخير لشديد"

واقترح أن يسمى هذا النوع من الالتفات بالتفات العلماء ، ولم يشدد في مسألة التسمية بل ترك المجال لمن بعده في الإضافة والاتيان بما هو جديد.

أوضح أيضا أنّ كلا من السيوطي والزركشي اتفقا في ربط الالتفات بالمعنى وأثره في النفس ، واتفق ثلاثتهم على أهمية الالتفات وبلاغته وتنوع ضروبه وأقسامه وربطه بالمعنى والأسلوب والنظم والأثر النفسي وإبراز الإعجاز القرآني.

ليخلص ختام الفصل باقتراح دراسة الالتفات في القرآن كلّه إذ لم يكن في وقته بعد من تتبع مواطن الالتفات في جميع آيات القرآن الكريم.[1]

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص160، 162

وختاما وضّح الكتاب توجهات القدماء في دراسة البلاغة، فمنهم من درسها بغية التعرف على جماليات القول العربي، وفئة أخرى منهم حرصت على فهم البلاغة بغية معرفة الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

وبحثه هذا كان يحمل الغايتين معا، و ذلك لأنّ فهم طبيعة الفن البلاغي العربي من شمولية لعلومه المختلفة من نقد وأدب وبلاغة وغيرها من العلوم يساهم في الولوج إلى التفسير القرآني وفهم إعجازه وعليه كانت هذه نظرته في بناء أفكار الكتاب وما حواه من فصول.[1]

[1] ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص163، 164

# الفصل الثاني

# دراسة الكتاب

لعل محاولة أبي هلال العسكري تمثل أنموذجا بارزا في منحى البلاغة ؛ لأنها أبرز محاولة عرفها القرن الرابع الهجري، وهو أول مؤلف يترجم بجلاء عن هذا الاهتمام إذ بوأه مرتبة المدخل الى كتابه (الصناعتين) وكذلك (ديوان المعاني) ، فكان يفصل في الإبانة عن موضوع البلاغة في اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها، والقول في الفصاحة وما يتشعب منه"[1]

زخرت الكتب النقدية القديمة بمصطلح الحسن البلاغي ومشتقاته، وأفاض النقاد والبلاغيون في الكلام على ذلك " وأطلقوا عليه أوصاف من نوع " التثقيف" و"التهذيب" و"النظر" و"التفتيش" و" الروية" و"التصفية "، وعلى الرغم من تعدد هذه الأوصاف فإنها تلتقي جميعا في هدف واحد، وهو "ضرورة الفحص المتأني للعمل بعد الفراغ منه، قصدا الى تحقيق أكبر قدر من الاستقامة والسلامة "[2] وبهذا يكون نواة المنظور النقدي كامن في مفهوم الحسن وقد استحوذ على الخطاب النقدي العربي القديم منذ عهد ابن سلام إذ يعد أول ناقد استخدم مصطلح الحسن للحكم على النص الشعري[3] لكنه ترسخ بشكل كامل في خطابات من تلاه من النقاد وبحلول القرن الرابع الهجري أخذت فكرة بناء النص الشعري تتجه نحو النمو والاتساع، وبالتحديد عند عدد من النقاد نخص منهم أبا هلال العسكري .

إن التهذيب و الحسن الذي يدعو اليه أبو هلال العسكري هو أمر من صميم الفن الأدبي، وهو يختلف عن التكلف –كما ذكرنا سالفا– وبه يلتمس الشاعر أصلح القوالب، وينفي عن الفكرة شوائب المعاني، فيرفع من طريقها الجمل المخلة، والكلمات القاصرة عن إداء المعنى المط لوب، إذ ينظر إلى كل هذه الآفات ويحذفها، ويبقي على المعنى الصحيح، واللفظ الشريف، والعبارة الواضحة، وبمعاودة الأديب لعمله، تكون الفكرة قد استوت .

[1] – ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، شركة القدس القاهرة ، مصر ج1، ص : 5.

[2] –أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة،ط2،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص 129.

[3] – أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين 129–130

**المبحث الأوّل: صور الحسن البلاغي :**

**1- الاقتصار على الايجاز و ترك الفضول:**

لم يبتعد أبو هلال العسكري في قراءته البلاغية ( للإيجاز) كثيرا عمن سبقه من البلاغيين، فهو يصور لنا مبدأ التحول الذي يدعو الى جمع الكثيرمن المعاني في قول قليل كي يكون (البلاغة ) ويصرح به قائلا :" وأكثر ما عليه الناس في البلاغة أنها الإختصار، وتقريب المعاني بالألفاظ القصار، والاقتصار على الإشارة الى معانيها، والدلالة بالقليل على الكثير ... وبهذا يلتقي طرفا الحلقة، فالكلام الحسن هو الموجز، والكلام الموجز هو البليغ، والبليغ هو أحسن الكلام "[1].

وبهذا يعلي أبوهلال من شأن الإيجاز حتى أقام البلاغة كلها عليه. ويدعم رأيه بما أجمع عليه الحكماء في قولهم: بأن (البلاغة) هي (الإيجاز)، وما ذكره لكثير منها إلا لأهميته في نظره، فقولهم:" البلاغة قول يسير، يشتمل على معنى خطير ...، والبلاغة حكمة تحت قول وجيز. ..والبلاغة علم كثير في قول يسير"[2] .

و ذكر من ألوان الحسن البلاغي، التفريق في المعنى حيث يتم تبين معنى اللفظ في النصوص وهذا التفريق في المعنى من حيث القيمة الأدبية يكون بغية إيصال الأثر البلاغي الذي يشمل على النقد والأدب و البلاغة، كما يتمثل الحسن البلاغي، في حفظ المأثور من الشعر الذي يتمثل فيه حديث النفس وهموم القلب وغيرهما[3]

يكشف عن الصورة التي دارت في أذهان البلاغيين العرب ، كما نفهم أن البعد النفسي يتأثر بالإيجاز، فبلاغة الكلام، وجماله مرتبط بمقدار محافظته على نشاط المتلقي؛ لأن الكلام إذا طال كان ذلك مدعاة للاستثقال، والملل الذي يؤدي الى انصراف المتلقي، وعدم تأثره بالكلام .

---

1- أبو سعيد العسكري، رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب العجم ،تحقيق عباس أرحيلة، مكتبة لسان العرب، بيروت، لبنان،ص 214.

2 -أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: 38.

3 - ينظر، محمد بركات، دراسات في البلاغة، ص81

كما يقر العسكري بأن لكل مقام مقال، فلا" يصلح الإيجاز في كل مكان، كما لا تصلح الإطالة في كل أوان، بل لكل واحد منهما حين يحسن فيه، ومقام يليق به، إن أزلته عنه لم توفه حقه ، ولم تسلك به طرقه"[1].

**أقسام الإيجاز :**

**أولا / إيجاز القصر**: هوبنية الكلام على " تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني "[2]،كقوله تعالى

(( **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ))[3]

**ثانيا/ إيجاز الحذف** : وهو ما يعبر عنه بالمسكوت عنه من الألفاظ بدلالة المذكور منها.

## 2- الزيادة في المعنى عندما يأخذ سابق عن لاحق:

لقد استخدم أبو هلال العسكري مصطلح (الأخذ) بكثرة مقابل مصطلح (السرقات)، وأحيانا يستعمل مصطلح (تداول المعاني)، كما استخدم مصطلحات( السبق، الإغارة ، الاتباع ، النقل، الإناخة). إن العسكري الناقد المبدع يدرك " أن التأثر قائم لا يمكن إلغاؤه مهما حاول المبدع من ذوي الإمكانات الكبيرة تجنبه فليس في مقدرته الإفلات من آثار السابقين مهما اجتهد ألا تقطع خطواته على خطوات سابقيه، فلا بد أن تتضح الآثار. "[4]

دار بين النقاد مناقشات حول السرقة وماهيتها، ورأينا أن أبا هلال العسكري فك هذه العقدة الشائكة بما أستدل عليه من كلمة (إنصاف) قائلا :" ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "لولا أن الكلام يعاد لنفد. وقول بعضهم: كل شيء ثنيته قصر إلا الكلام فإنك إذا ثنيته طال

[1]- أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، ت أحمد حسن بتيح، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2، ص 433.

[2]- أبو هلال العسكري، الصناعتين ، ص159

[3] - سورة البقرة، الآية 179.

[4] - العسكري، ديوان المعاني،ج1، كمثال ص 17-108-317

"1، والحقيقة أنها كذلك؛ لأنه لا يمكن أن يأتي الشعر بالجديد المتجدد على طول الزمن؛ والقدماء أستنفدوا أكثر المعاني الوجدانية.

ومهما يكن من تطور الحياة الأدبية، فإن كثيرا من الخواطر والمشاعر والأحاسيس باقية لم تتبدل، لا يمكن أن تتبدل ما دام الإنسان هو من يحب، ويبغض، ويتألم ، ويقدم ... والشعر تعبير عن هذه الانفعالات، ومن الشعراء من لا يستطيع التعبير عنها، فيجد في شعر الآخر صورة تعكس ملامح خواطره .لكن طريقة التعبير هي التي تختلف من شاعر الى آخر بحسب ما منحه الله من موهبة خيالية، وبراعة تعبيرية، فتكون الإضافة قياسا لمدى الأبداع.

بين أبو هلال العسكري مدى جهد الشاعر (الآخذ) وهو المتأخر في مجال هذه الظاهرة عند إعداد نصه وهيكلته ، وذلك في مبحثين : (حسن الآخذ ) و(قبح الآخذ).

وقبل أن نعرض أفكار العسكري حول هذه الظاهرة، مفصلا فيها ، لابد من الإشارة الى المصطلح الذي أفتتح به أبي هلال بابه السادس من كتابه (الصناعتين) وهو(الآخذ) بدلا من (السرقة)؛ لما توحيه من إتهام وتحريم، وما لها من بعد عن التجريح؛ وعلة ذلك إن في (صناعة) العسكري ترد قيم الآثار الأدبية الى الإجادة قبل الابتكار، ويرى في اقتباس المعاني، وتجميلها، والزيادة عليها سبيل ( براعة وابتداع) ، لا سبيل (سرقة وإتباع)، وما يدل على ذلك.

قول العسكري: " والحاذق يخفي دبيبه الى المعنى يأخذه في سترة، فيحكم له بالسبق إليه أكثر من يمر به...إلا أنه لا يكمل لهذا إلا المبرز، والكامل المقدم [2] سواء أنجح في إخفاء ما أخذه أم أخفق فيه .

إنّ الإبداع القولي (شعرا أو نثرا ) لا يعاب بالأخذ أو الإفادة من المتقدمين، والإفادة من كلامهم أمر لا مفر منه ، لكونهم يمثلون التراث الزاخر، فهو زاد المبدع الذي جعله العسكري جزءا مهما من مهاده الثقافي، يجب أن يعيه قبل الخوض في غمار الشعر، لذا فمعرفة الشعر وروايته أساس تكوين ثروة الأديب.

[1] – العسكري ، الصناعتين، ص177

[2] – العسكري ،الصناعتين ص 177

وبهذا رأى العسكري أن على الأديب أن ينظر في المعاني السابقة ، واستعمال قوالبها، وأطرها، للإفادة منها في بناءه الجديد، وهو لا يقف بالأديب عند حدود الإفادة فقط، إذ أوجب عليه أن ( يضيف) الى ما أخذه إضافة تكسبه نوعا من الخصوصية التي تمنحه بعد ذلك حق نسبته إليه، وعلى الشعراء الذين أخذوا المعاني المطروقة " أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها، وجودة تركيبها، وكمال حليتها، ومعرضها؛ فإذا فعلوا ذلك، فهم أحق بها ممن سبق " [1]، وبهذا يحدد العسكري للشاعر الذي ( يأخذ) من غيره شروطا يلتزمها في بنائه الجديد؛ ليضمن الاختصاص.

**3- التشبيه :**

التشبيه أصل من أصول علم البيان، واسلوب من أساليب التعبير الأنيق الذي يحتضن الجمالية، والبنائية في الكلام، ونستطيع تلمس خيوط اشتغاله الوظيفي – على مستوى النصوص الإبداعية – في كثير من كلام العرب، وهو أنسب المحاور للتعبير عن أفكارهم وما تجيش به من مشاعر؛ لذلك كثر في كلامهم ، وقد عبر عن هذه الحقيقة أبو هلال العسكري بقوله: " أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه . وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه، وفضله، وموقعه من البلاغة بكل لسان "؛ كونه أحد وسائل التصوير الفني الذي يحصل نتيجة امتزاج الصورة بالخيال، والصورة بالشكل.

ويكمن جمال الدور الذي يؤديه التشبيه بما " يجلبه للنفس من الأنس بإخراجها من خفي الى جلي كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة الى ما يعلم بالفطرة، أو بإخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته"[2]، وهو يوقظ الخيال، وينير الفكر، ويؤنس النفس، وبه يلون الأسلوب .

[1] – العسكري ، الصناعتين ، ص 177

[2] – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ت ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص190.

إن عملية استبدال لصفة جامعة تتولى أدوات التشبيه عبء هذا الاستبدال وتكون جواز المرور للجمع بين المشبه والمشبه به، هي الفكرة التي ظلت تدور بين النقاد والبلاغيين القدامى، أما أبو هلال فلم يبتعد عنهم كثيرا، مع أن له في التشبيه أفكارا قيمة، وتصورا واسعا .

يجوز تشبيه الشيء بالشيء جملة، إي (التشبيه المجمل) هو حذف وجه الشبه، ومثل له بقول الله تعالى: (( **لَهُ الْجَوَارِالْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** )) [1]، مبينا: " إنما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها، ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو."[2] ، وحديثه فيه حصر لوجه الشبه بين المشبه والمشبه به، ووجه الشبه كما يتضح – قيد عقلي – يحصر الصورة في إطار حسي. وهذه تشبيهات يسيرة؛ لقربها من الذهن، وهي تشبيهات حقيقية؛ لأن عظم حجم السفن والجبال هو حقيقة موجود في كل المراكب والجبال، وليس تصورا في الخيال .

إن النظرة إلى هذه التشبيهات وتجاهل ما فيها من الدقة والطرافة، وقصره جودة ؛ يرجع الى إعتداده (بالوضوح)؛ لأن عبادة القديم داؤنا الذي نخشى البرء منه، لذلك نراه يقول: " أما الطريقة المسلوكة في التشبيه، والنهج .

نرى أن ليس من مطالب الصورة التشبيهية أن توفر إقناعا (عقليا) بقدر ما تثيره من انفعالات وعواطف نفسية تتعدى أطر العقلانية المبسطة، والنظرة الى التشبيه وفق هذه الوظائف المحددة فيها .

إن حرص العسكري عن الابتعاد بالتشبيه خارج منطقة الدلالة كان مستوحى من النسق الثقافي (لعمود الشعر العربي) ،الذي ينص على المقاربة في التشبيه مع عدم تفصيل أشكال المقاربة ؛ حيث ألتقت المؤثرات الفلسفية التي تقيد حركة المشبه به لصالح الفائدة، مع المواضعات الأدبية التي تلح على التناسب والمقاربة في التشبيه، ونستطيع بوضوح تام أن نستجلي ذلك من تنبيهات العسكري في مواضع مختلفة من كتابه. وهذا النص يبرز بجلاء دور النسق الثقافي، ودور بيئة المتكلمين في بلورة التصور العام لمفهوم (التشبيه).

[1] – سورة الرحمن، الآية 24

[2] – العسكري ، الصناعتين ،ص 215

إن نظرة العسكري (للتشبيه ) تغذي الاعتقاد القديم في النقل الحرفي لتشبيهات الشعراء، فصواب التشبيه؛ يرجع الى التطابق المادي الكامل بين (طرفي التشبيه)، على النحو الذي يغدو معه التشبيه فعلا آليا للمحاكاة ، وحديثه عن الوصف : " ينبغي أن تعرف أن أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف ، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك ... ، دليل على رؤيته، ممثلا عليها بقول العتابي في السحاب :

**والغيم كالثوب في الآفاق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق**

**تظنه مصمتا لا فتق فيه فإن سألت عزاليه قلت : الثوب منفتق**

**إن معمع الرعد فيه قلت: منخرق أو لألأ البرق فيه قلت : محترق**[1]

مثل الغيم الضارب في الأفق بالثوب المنشور، ثم أخذ يقرن كل حال من أحواله بما يقابلها من أحوال الثوب ، فجعل إمساكه عن المطر مظنة الصحة والمتانة ، وانسكاب الغيث من خلاله منبئًا بتفتقه ، ومعمعة الرعد إعلانًا بانخراقه ووميض البرق شظايا من اللهب تؤذن باحتراقه. ورؤية العسكري في هذا تظل ضمن النقل (الفوتوغرافي) للمشهد ، فهو يشترط فيه أن يصور المنظر نصب العين . إذا فـ (التصوير، والتوضيح، والإبانة ) هي أبرز سمة للتشبيه، وهي وظيفتها الأولى، بل لعل ذلك هو أبرز مطلب في الكلام البليغ بصفة عامة ؛ كي تؤثر في السامع أقوى تأثير، بما يحدثه من زيادة كيفية في المعنى، ومتى فقد التشبيه ذلك، وسم بالقبح وعدم القبول. .

**4- الاستعارة :**

كان الاهتمام عند البلاغيين القدامى، منصبا على التشبيه، فعمود شعرهم يتحقق من غير استعارة، والأساس فيه يقوم على (التشبيه)، فـ (الاستعارة) إذن لم تلق من الاحتفاء مثلما لقى (التشبيه)؛ لأنها تحطم الحواجز بين الأشياء، وتهدم الفواصل بين طرفي التشبيه ، لذلك نظر الى

[1] – العسكري، الصناعتين، ص 118

الاستعارة على أنه ( تشبيه حذف أحد طرفيه ) وهذه النظرة أدت بالعلماء الى الخلط بينهما فيجعلون الاستعارات تشبيهات، وبالعكس يطلقون على بعض التشبيهات لقب (استعارة)، ويعد أبو هلال العسكري واحدا من هؤلاء العلماء الذين خلطوا بينهما، فقد عد قول الوأواء الدمشقي :

**وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت درا وعضت على العناب بالبرد**

من أتم التشبيه؛ لأنه شبه خمسة أشياء بخمسة أشياء في بيت واحد:(الدمع باللؤلؤ )، و(العين بالنرجس)، و(الخد بالورد)، و( الأنامل بالعناب) لما فيهن من الخضاب، و(الثغر بالبرد)[1] .

يتضح أن العسكري لم يضع الاستعارة ضمن علم البيان، بل وضعها على رأس أبواب البديع، إذ عقد لها فصلا من الباب التاسع في كتابه ( الصناعتين ) تحت كلمة (بديع )، وهو يقصد بهذه الكلمة ( الطريف والجديد من الكلام ) نرى أن(الاستعارة) عنده جاءت بمعنى ( الانتقال والاستبدال في الدلالة). ثم يحدد العسكري لهذا(الانتقال والاستبدال في الدلالة) فوائد متعددة الصور، منها :

- ✓ شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه .
- ✓ تأكيد المعنى والمبالغة فيه.
- ✓ الإيجاز .
- ✓ تحسين المعنى.

## 5- الألفاظ العتيدة والمعاني الجمة الكثيرة

و هنا الحديث عن قضية أخذت شغل الأدباء البلاغيين والنقاد وراحوا يطنبون الحديث عنها.

**اللفظ والمعنى**: تعد هذه القضية إحدى المشكلات التي عالجها النقد العربي القديم، وقد هيمنت هذه الثنائية على تفكير النقاد واللغويين والنحويين وعلماء البلاغة وحتى الفقهاء والمتكلمين، وحاول كل واحد من هؤلاء تكييفها حسب منظوره أو اتجاهه ومحيطه الفكري الذي يستقي منه. و عموما يمكن القول إن "قضية اللفظ والمعنى" قضية ذات طابع استقطابي يمحضها

[1]- العسكري، الصناعتين، ص 223

لأن تكون من المسائل الرؤوس في التراث الفكري العربي بوجه عام، والتراث النقدي على وجه التحديد."[1] فكيف كانت نظرة أبي هلال العسكري إلى هذه القضية ؟

يقول معلقا على قول أحد الأعراب: "أبلغ الناس أسهلهم لفظا وأحسنهم بديهة" وهذا حسن جدا لأن سهولة اللفظ تدل على جودة القريحة والبلاغة الغريزية، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولا شيء أذهب بماء الكلام وطلاوته ورونقه منهما، ولا يحسن معهما الكلام أصلا وإن كان لطيف المعني نبيل الصنعة "[2]

فسهولة اللفظ إذن شرط رئيس في جودة الشعر، ووعورته دلالة على عكس ذلك وواضح من خلال استشهادات المصنف أنه يقيم فصلا بين اللفظ والمعنى فلا فائدة عنده من تكرار الألفاظ فهذا مشين للأبيات وإن كان المعنى حسن جدة، كما هو الحال في بعض الأبيات التي رويت عند العرب في الافتخار بالجود وطيب النفس. "[3]

و لا تخرج أراء أبي هلال العسكري في قضية اللفظ والمعنى عما تناوله النقاد قبله أو ما هو متداول في عصره مثل قوله:" مختار الكلام أو تكلف اللفظ وابتذاله أو فصاحته إلى الجزالة والسهولة وربما استخدم عبارة أشد قساوة عما عرف من قبل حول هذه القضية، حيث قال عن أحد الشعراء المحدثين حول أبيات في وصف الليل : " وقد أبر على من تقدم على دناءة لفظه "[4]

و مما تجدر الإشارة إليه أن أبا هلال يربط هذه القضية "اللفظ والمعنى "كثيرا بمبحث عند البلاغيين وهو "المساواة " أي مساواة الألفاظ لمعانيها ،كيف لا وهو البلاغي الخبير بجودة الكلام

[1] – أحمد الودرني، قضية اللفظ والمعنى و نظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن السابع هجري، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان، ط1، 2004،ج1، ص110

[2] – العسكري، ديوان المعاني، ج2، ص 81

[3] – العسكري ديوان المعاني، ج1، ص 81

[4] – العسكري، ديوان المعاني، ص 348

وأفانين القول، وكثيرا ما انصبت أحكامه في مختاراته في هذه القضية على النحو المذكور. فقد علق على قول أبي نواس:

**فقلت والليلُ يجلوه الصباح كما ...جلا التبسمُ عن ممر الثنيّات**

بقوله:"و في ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه. "[1]وحول أبيات أحمد بن زياد كاتب في "الشيب" يقول :"و في ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه"[2]، أما أبيات ابن رومي التي سبقت أبيات أحمد بن زياد في الموضوع ذاته فقد وصفها بأنها متوازنة لفظ والمعنى. [3]وفي أبيات أبي هفان

**يعيرني عري رجال سفاهة *** فعزيت سي مصدرا ثم موردا**

**بأني مثل السيف أحسن ما يرى *** وأهيب ما يلقى إذا هو جردا يقول:"**

وفي ألفاظه فضول لا يحتاج إليها "[4].

**6- حسن التعليل :**

من المحسنات المعنوية، حسن التعليل، وهذا الموضوع يقوم في أساسه على التظرف والتفكه، ومن هنا كان بحاجة إلى فطنة وبديهة، ويتصلون بحسن التعليل أن يأتي المتكلم الشيء الذي يتحدث عنه بعلة ليست له، تظرفاً ومبالغة. وقد يكون هذا الشيء ليس له علة، ولكن الأديب يأبى إلا أن يعلله، وقد يكون له علة ولكن المتكلم يتناساها ليأتي بعلة أخرى.

سألني أحدهم وقد ظهر الشيب في وجهي، (ما هذا؟) فقلت: «صنعت لأحدهم معروفة وكان من الصالحين فدعا لي قائلا: «بيض الله وجهك، فاستجيبت دعوته.

[1] – العسكري، ديوان المعاني ،ص 157

[2] – العسكري، ديوان المعاني،. 356

[3] – العسكري، ديوان المعاني ،ص 80

[4] – إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ط4، ص70

وقريب من هذا قول الشاعر: [1]

**قد يشيبُ الفتي وليس عجيب أن يرى النورُ في القضيبِ الرّطيبِ**

فالشيب معروفة أسبابه معلومة علله، ولكننا وجدناهم قد عللوه بغير ما هو له

ومما عتوه من حسن التعليل ما علل به بعض الشعراء زلزالا حدث في مصر فقال:

**ما زلزلت مصرَ من سوءٍ أريد بها لكنّها رقصت من عذله طربًا**

فجعل الزلزال ناشئا عن عدل ممدوحه وهو تعليل كما ترى.

وقريب من هذا التعليل تعليل القعود عن الجهاد، بأن العدو وإن هزمنا في معارك ثلاث أو أربع، إلا أننا نهزمه كل يوم في معركة سياسية، وبأن العدو لم يبلغ أمنيته لأنه يريد أن ينال من الأنظمة، فأمنيته الأنظمة وليست الأرض. وقال الشاعر:[2]

**ما قصر الغيثُ عن مصرَ وتربتِها طبعًا ولكن تعدائِمُ من الخَجلِ**

فهو يعلل لعدم وجود الغيث بكثرة فضل الممدوح وخيره، وهذا كالذي يعلل قطع الكهرباء في الليل المظلم بنور فلان من الناس.

ولعلنا أدركنا ما يقصد بحسن البديع، يعلل المتنبي لنزول المطر من السماء بعلة طريفة غريبة في قوله: [3]

**لم تَحك نائلك السّحاب وإنّما حُمَّت به فصبيبها الرُّحَضَاءُ**

يقول: لا تظن أن هذا السحاب يمكن أن يحاكيك في عطائك أو يجاريك في كرمك، لأن هذا أمر ميئووس منه، فليس للسحاب أن يطمع فيه، كل ما في الأمر أن السماء أصابها عرق من الحمى

[1] –عبد الرحمان البرقوقي ، شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العربي، بيروت ، لبنان ، ج1، ص145

[2] – عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج262/1

[3] – عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي ،ج1، ص154

حسدة لك فمرضت، فما تراه من الماء النازل، ليس إلا أثر لهذه الحمى التي أصيبت بها السماء ونحن نعلم أن الحمى إذا ألمت بإنسان ما كثر غرقه، فكان هذا الماء النازل هو عرق من هذا المرض.

ومن حسن التعليل قول المتنبي كذلك

**ما به قتل أعادِيه ولكن يَتَّقي بخِلافِ ما تَرجُو الذِّئَابُ**

و يقول: إن ممدوحه ليس به حاجة إلى قتل أعدائه فهو يبسط سلطانه عليهم من غير قتل، كل ما في الأمر أنه لا يريد أن يخيب رجاء الذئاب، فالذئاب التي تعيش في سلطانه ترجوا أن لا تجوع إبان حكمه وامارته، فهو إن قتل أعداءه فإنما من أجل الذئاب حتى لا يخلفها ما ترجوه ومن حسن التعليل قول( أبي هلال العسكري).[1]

**زعم البنفسج أنّه كعذاره حُسنا فسلُّوا من قَفَاهُ لِسَانَه.**

والعذار هو أول ما يبدو من الشعر على الخد، والبنفسج يبدو من خلفه يشبه اللسان، وأبو هلال يريد أن يعلل لهذه الظاهرة وهي كون هذا الورق يبدو من خلف البنفسج، فكيف يعللها وبم؟، يقول لقد زعم البنفسج زعما غير صحيح، وادعي دعوى كاذبة، زعم أنه يشبه عذار مملوحه، ولا بد للمدعى افتراء أن ينال جزاءه، وهذا ما كان البنفسج بالفعل فلقد سلوا لسانه من قفاه عقابا له على ذلك الزود وهذا الافتراء

## 7- الموازنة:

الموازنة هي تشخيص لمواجهة فنية بين الشعراء 30[2] أو بين الكتاب والأدباء بشكل عام، "وهي لون من ألوان النقد الأدبي تفصح عن ملكة الناقد وقدرته على التحليل والحكم."31[3]

[1] -أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، عالم الكتب، بيروت ، لبنان، ص 224

[2] - أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج1،ص78

[3] - أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج1، ص27-28

و تتجلى رؤية أبي هلال حول هذه المسألة من خلال ممارساته التطبيقية على الشواهد والنصوص التي يوردها في باب من الأبواب، حول معنى من المعاني أو موضوع من المواضيع عند شاعر أو كاتب أو أكثر سواء كانوا في عصر واحد أو عصور مختلفة (جاهلي، إسلامي، أموي، عباسي). : و يبدو أن سعة الثقافة التي يتميز بها الرجل وكثرة المحفوظ، قد أعاناه في الحكم على المتناظرين، إضافة إلى الحس النقدي، وهي شروط ينبغي لمن يتعرض

و يبدو أن سعة الثقافة التي يتميز بها الرجل وكثرة المحفوظ، قد أعانته في الحكم على المتناظرين، إضافة إلى الحس النقدي، وهي شروط ينبغي لمن يتعرض للموازنة أن يتوفر عليها. فقد فضل فائية جميل على فائية الفرزدق وقال :"و فائية جميل أحسن وأسلس من قصيدة الفرزدق. "[1] |

و وازن بين أبيات الأخطل في المديح وأبيات النابغة الذبياني، وانتصر للثاني على الأول.[2] وها هو يعقد مقارنة حول "أجود ما قيل في إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم" من خلال قول امرئ القيس:

**سموت إليها ليلا بعدما نام أهلها *** سمو حباب الماء حالا بعد حال**

ثم يقول:" وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن:

**و اسقط علينا كسقوط الندى *** ليلة لا ناه ولا زاج**

و هذا أبلغ أيضا لأن سقوط الندى أخفي من حباب الماء، لأت لسمو حباب الماء صوتا خفيا ليس ذلك لسقوط الندى. [3]

وقد يوازن بين شعر المتقدمين والمحدثين فينتصر للمعنى الشريف واللفظ القويم ولا يتعصب لأي طرف، وهنا تظهر موضوعية أبي هلال بين جيل من الرواة والإخباريين عرفوا بتعصبهم القديم، وذلك حينما

[1] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،225-226

[2] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج1،ص348

[3] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج1، ص 244

يثني على أبيات بعض الشعراء المحدثين في وصف الليل بل ويؤكد على أنه قد أبر على ما تقدم من الشعر في هذا الوصف حتى شعر امرئ القيس في وصف الليل.[1]

و ربما دب حب القديم دبيبا في أحكام أبي هلال العسكري، ولكن ذلك لن يقدح في موضوعية الرجل، فقد صرح بذلك في موقفين أو ثلاثة فقط، ففي ذكره لبيت

**فأنضَبت منها إلى جنةٍ *** تدَلت على عناقيدِها**

يقول:" ليس لأشعار المتقدمين نظير، وكان بشار يتعجب من حسنة ويقدمه على جميع ما قيل في الشعر.[2] أو حينما تحدث عن أجود ما قيل في الوقوف

على الديار قول امرئ القيس (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) يقول:" وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع ، فليس له شبيه في جميع أشعارهم."[3] وما عدا هذه النماذج فالكتاب يخلو من هذه النزعة الجدلية ( بين القديم والجديد ) في جانب الموازنات والمفاضلات ويوضح نظرة العسكري الموضوعية في هذا الجانب.

### 8- الطبع والتكلف

الطبع في الشعر هو الموهبة في كتابته، وهو العفوية وعدم التكلف في الممارسة الشعرية شريطة أن توافق هذه الموهبة صدق التجربة، وظاهر اللفظ ومدى ملاءمته لمضمون الكلام، كفيل بأن يجعل الشاعر على سكة المطبوعين أو المتكلفين.

يقول أبو هلال العسكري حول هذه الفكرة:" إن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القريحة والبلاغة الغريزية، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولا شيء أذهب بماء الكلام

[1] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج2،ص 148

[2] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج2،ص81

[3] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج1،ص 322

وطلاوته ورونقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلا وإن كان لطيف المعني نبيل الصنعة "[1]وفي موضع آخر من الكتاب ، وبعد أن يستهجن ما استحسنه غيره من الرواة لبيتين من الشعر للشاعر العباسي الصنوبري يقول:" ... وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة معناهما ولكن لتكلف ألفاظهما، وليس

التكلف أن تكون الألفاظ غريبة وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفا وإن كان ظاهر اللفظ، إذا لم يوضع في موضعه وخولف به وجه الاستعمال. "

ظاهر التكلف.[2] و في أبيات ( علي بن العباس النوبختي) في رجل اعتل:

**طال فكري تعجبا لمصوغ *** ذهبا كان يقبل الأقذاء**

**و الحسام الهذاد يزداد حسنا ***كلما زاده الصقال جلاء**

**يقول بعدها:"... والبيت الثاني أصلح من الأول والبيت الأول متكلف** جدا

أما إذا استسهل شعر أحد الشعراء وأعجب بألفاظه، خاصة إذا كانت في موقعها من النص، أو موقعها من نفسه، فهو يصف الشعر إذا بالمطبوع، فقد وصف شعر محمد بن إبراهيم اليزيدي بأنه مطبوع مختار. وامتدح جرير قائلا:" وكان جرير قليل التنقيح مشرد الألفاظ ".

**9 – المبالغة والاعتدال:**

و هذه القضية مرتبطة أشد ارتباط بالطبع والتكلف " فقاعدة الطبع هي المتحكمة في الإبداع وهي أمارة الاعتدال والاقتصاد، أما الصنعة فأمارة الغلو والإفراط "[3]

أما إذا أردنا البحث في جذورها الفكرية فلا يستبعد أنها مرتبطة بأصول فكرية دينية أقرها الإسلام اعتمادا على مبدأ الوسطية والاقتصاد في كل شيء فلا إفراط ولا تفريط، هذا ما أكد عليه

[1] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج1،ص 315

[2] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني،ج1،ص 322

[3] – أحمد الودرني: اللفظ و المعنى في النقد العربي، ج1، ص 149

أحد الباحثين يقوله:" إن مفهوم العرب للإبداع قائم على توحي(الاقتصاد وتجنب الإفراط الذي وقع فيه بعض المحدثين، كما أنها مرتبطة بقاعدة المقدار وقد نهي عن كل شيء جاوز المقدار ، وقاعدة المقدار كذلك مرتبطة بقاعدة دينية هي قاعدة (الوسطية) وجوهرها الاعتدال في كل شيء ومجانبة الغلو في الدين ومسألة المنزلة بين المنزلتين ونبذ التكلف وتنزيه كلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الصنعة والتعبد للمعاني. "

و كان أبو هلال مدركا لهذه الحقيقة في قضية (المبالغة والاعتدال) وبنى أحكامه النقدية على أساسها، فقد أعاب على امرئ القيس قوله في وصف الليل ( وليل كموج البحر أرخى سدوله) بعد أن وصفها بأفصح الكلام وأبرعه ... إلا أنه دخل في باب الغلو. لحكم نفسه انطبق على أبيات النمر بن تولب في مضاء السيف [1]

**أبقى الحوادثَ و الأيامَ نمر *** أسباد سيف قديم أثَره بادِ**

**تظل تخف عنه إن ضربتَ بهِ *** بعد الذراعين والسَّاقين والهابي**

و هذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذموم إذا كان في هذا الجمود عند آخرين ممدوح. كما انتقد الغلو والإفراط في الشعر، انتقده في النثر كذلك . و ربما كان الغلو مستفيضا مشهورا فرضيت به العامة والخاصة واستحسنوه.

اشترط البلاغيون خصائص في اللفظ تتجلى في إقراره بأن " الكلام –أيدك الله– يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعة وتخييير ألفاظه، وإصابة معناه ،وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه إعجازه بهواديه، وموافقة مآخيره لمباديه، حتى لا يكون في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه، وكمال صوغه وتركيبه "[2]

[1] – أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص 214

[2] – كتاب الصناعتين : 53-54.

**المبحث الثاني: الالتفات في الموروث البلاغي العربي :**

لا يتأتى معنى الخطاب إلا بوجود متكلم يمارس آثار نطقه في الكلام ، ونستدل على حضور المتكلم في كلامه عادة بمقولة الضمائر ، التي تحتمل بالتأكيد تعيين ذات المخاطب والمخاطب ، غير أن إحالات الضمائر ليست ثابتة ولا هي يقينية مطلقا ، بل هي عرضة للتحول من ضمير إلى آخر، وهو ما عرف في التراث البلاغي والنقدي العربيين تحت تسميات كثيرة أشهرها سر بلاغة الالتفات .

ثم إن ظاهرة تحولات الضمائر ليست وقفا على علم النحو وفقه اللغة والبلاغة والبديع و علوم القران وحدها ، بل لقد أضحت تحولات الضمائر اليوم من أهم بنود علم السرد، وهي تشكل أحد دعائم نظرية سردية متكاملة تعنى بدراسة مختلف مظاهر عدول المتكلم " أو السارد" عن كلامه مما له علاقة أيضا بمختلف تحولات الضمائر السردية .

لا يمكن والحال هذه ، أن نتصور وجود خطاب معزول عن نظام الإحالة إلى متكلم ما و مستمع وتنشأ بينهما شبكة مقاص وتأويل، لأن كل ذلك له صلة بذرائعية الخطاب التي هي صفة جوهرية في اللغة والسرد معا ، لكن المتكلم قد يتخذ أحيانا وضعيات تخاطبية ملبسة، تؤدي بدورها إلى المباعدة بينه وبين خطابه، وإلى التواري خلف ضمير أخر ليس هو أناه، مما له علاقة بظاهرة الالتفات ، التي غالبا ما تقتضي قلب نظام الإحالة إلى المتكلم ، والتشويش على ذرائعية الخطاب .

طبيعي إذن أن تستدعي ظاهرة الالتفات ، بسبب علاقتها بمقام النطق ومقولة الضمائر ، إمكانية إعادة التفكير فيها وتوظيفها ضمن حقل نقدي جديد ، يطمح إلى اقتراح قراءة مغايرة للمنجز البلاغي من جهة ، كما يسعى إلى تأمل إمكانية نقل المصطلح من الحقل اللغوي و البلاغي إلى حقل السرديات العربية المعاصرة، مما قد يشكل مظهرا لبلاغة سردية لها أصولها ، فحقيق بنا إذن أن ننظر في أوجه التقاطع والاختلاف بين المفهوم البلاغي للالتفات وصنوه في حقل السرديات، عسانا نتبين بعد ذلك مدى مشروعية تعميم المصطلح و تسويغ استخدامه في حقل السرديات العربية.

لم يتجاوز التداول المعجمي للفظ الالتفات معنى الصرف و التحول من حال إلى حال، فقد جاء في لسان العرب: " لفت وجهة عن القوم : صرفة ، والتفت التفاتا ، والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه : صرفت وجهة إليه...، ولفته عن الشيء يلفته لفثا : صرفه...، ولفت فلانا على رأيه أي صرفه ، ومنه الالتفات "[1]

ولما كان أهل المعاني والبيان والبديع يطلقون مصطلحات كثيرة يستدلون بها على المسمى نفسه في الغالب، فقد استخدموا لفظ الالتفات بشكل مترادف مع الانصراف و الصرف والعدول والاستدراك والاعتراض و التصميم والتكميل والتذييل ، إلى غير ذلك من المصطلحات التي يتعذر حصرها في هذا المقام ، وهو ما يجعل كل محاولة لتحديد معني دقيق للالتفات أمر دونه خرط القتاد، وهذا ما يضعنا وجها لوجه مع إشكالية تداول مصطلح الالتفات في الدرس البلاغي والنقدي العربيين.[2]

اختلف البلاغيون العرب في فهمهم للالتفات، وإن كان الجمهور قد سوى بين الالتفات و الاعتراض ، وإلى مثل ذلك يذهب الباقلاني (ت 402هـ) فيقول : « ومعنى الالتفات أنه اعتراض في الكلام »[3]، وإن كان الباقلاني نفسه لم يستنكف عن استخدام المعنى الذي سنه ابن المعتز (ت 296هـ) للالتفات بوصفه تحويد للضمائر ، في حين أطلق قدامة بن جعفر (ت5327) اسم الاستدراك على الالتفات ، وهو تحول من معنى إلى معنى فيقول : « ومن نعوت المعاني الالتفات وهو أن يكون الشاعر آخذا في معني ، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله ، أو سائلا يسأله عن سببة ، فيعود راجعا إلى ما قدمه فإما أن يذكر سببه ، أو يحل الشك فيه » [4]. وينسج أبو هلال العسكري (ت 395هـ) على منوال سابقيه ، فيخلص إلى أن الالتفات هو

[1] –ابن منظور، لسان العرب،مج 13، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص 214-215

[2] – ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي اللدين عبد الحميد، ج2، د.ط، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي والحلبي، مصر، 1939، ص 04

[3] – الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، د.ت، دار المعارف، مصر، ص150

[4] – قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد خفاجي، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 132

الاعتراض ، وقسمة إلى قسمين قائلا : « الالتفات على ضربين ، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به... والضرب الآخر أن يكون الشاعر أخذا في معني وكأنه يعترضه شك أو ظن أن رادا يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه .. فإما أن يؤكده. أو يذكر سببه ، أو يزيل الشك عنه » .[1]

**أ– مفهوم الالتفات:**

1/ **الالتفات لغة:** جاء في كتاب الله العزيز " **أَجِئتَنَا لِتَلفِتَنَا عمَّا وجدنَا عليهِ آباءَنَا"**[2]. قال أبو عبيدة: أي لتصرفنا عنه وتميلنا وتلوينا عنه ونجد في المعاجم اللغوية تعريفات كثيرة للالتفات تتفاوت في معنى كلمة لفت ومشتقاتها .

**فهناك من يقول:** بأن اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللّي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة منه، لفت فلان عن رأيه: صرفته، و (اللفت) الرجل الأعسر وهو قياس الباب: وامرأة لفوت: لها زوج ولها ولد من غيره فهي تلفت إلى ولدها ومنه الالتفات، وهو أن تعلل بوجهك وكذا الت. ومنهم من قال: (الفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفات والتقت أكثر منه، وفي الحديث: (فكانت مني لفته) وهي المرة الواحدة من الالتفات واللفت: غير جهته، وألفت فلانة عن رأيه أي صرفته عنه ومنه اللّي ولفته يلفته لفتا: لواه على الالتفات-

ومن المجاز لفه عن رأيه: صرفته وفلانا يلفت الكلام لفتا يرسله على كونه لا يبالي كيف جاء، ولفت اللحاء عن العود: قشره ... ومن معانيه أيضا المبارحة النفسية للسلوك الإنساني ومن ذلك حديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم: (لا تتزوجن لفوتا) وهي التي لها ولد من زوج آخر، فهي لا تزال تلتفت إليه وتنشغل به عن الزوج.

[1] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 438-439

[2] – سورة يونس، الأية 70

**إشكالية الالتفات في المفهوم الاصطلاحي :**

يعد أسلوب "الالتفات" من بديع فنون البلاغة وهو أسلوب لطيف من أساليب اللغة العربية وملمح دقيق من ملامح النظرية الأسلوبية الحديثة ، وهو على المستوى الفني "من الظواهر التي تتحكم في الأساليب بصيغة الحضور الفاعل والمؤثر ، وكأن الالتفات – وهو يواصل أداء دوره الفني – يحقق الاستجابة الطبيعية لنزوع الإنسان الى التنوع والتجديد في أساليب تعبيره وصيغ كلامه"[1] ، والشيء اللافت للانتباه أن مفهوم الالتفات الاصطلاحي على كثرة وروده في موروثنا البلاغي والنقدي "قد لقي قدرا من الخلط والاضطراب لم يتعرض لمثله – فيما نرى – مصطلح بلاغي آخر، فحين نتأمل مسيرة ذلك المصطلح في مؤلفات هذا الموروث نجده يلتقي بالظاهرة التي بين أيدينا تارة، ويتجاوزها إلى غيرها من الظواهر البلاغية تارة أخرى" ولعل بداية الإشارة إلى الالتفات كانت عند الأصمعي (ت 216هـ) قال أبو هلال العسكري (ت 395هـ) : "أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال : قال الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ، قلت : لا ، فما هي ؟ قال :

**أتنسى إذ تودِّعنا سُليمى بعود بشامة سُقي البشام**

ألا تراه مقبلاً على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له ، وهذه الرواية التي تناقلتها كتب التراث والتي تدل على أن مصطلح الالتفات كان معروفا منذ القرن الثاني الهجري تقريباً تدل – من جهة أخرى على أن مفهومه كان يختلف سابقاً عن مفهومه الذي عرف به فيما بعد إذ إن دعاء جرير للبشام بعد الاقبال على شعره إنما هو مجرد تحول عن معنى إلى معنى آخر أي أنه مفهوم آخر غير الالتفات الذي سيدل عليه المصطلح والذي يشترط توحد المعنى بين طرفي الصورة الالتفاتة (الملتفت عنه والملتفت إليه) .

"ومما يلفت أنظارنا في خبر الأصمعي ان محمد بن يحيى الصولي لم يكن يعرف معنى الالتفات حتى نبهه إليه الأصمعي"[2] .

[1] – جليل رشيد فالح ،– فن الالتفات في مباحث البلاغيين آداب المستنصرية، 1984 ص63 .

[2] –جليل رشيد فالح، مباحث البلاغيين ،فن الالتفات في: 67

ومن أوائل المفسرين الذين تنبهوا الى مفهوم "الالتفات" أبو عبيدة (ت 210هـ) وان لم يصرّح بلفظه ، إذ أطلق على عموم مباحث البلاغة العربية تسمية "مجاز"، فعدّ عملية التحوّل بين أنماط الضمائر مجازاً بقوله : "ومن مجاز ما جاءت مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته إلى مخاطبة الغائب ، قال الله : **(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ)** ، ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد ، قال : **(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)**"[1] .

وبهذا المنطلق – أيضا – نرى ايراد ابن قتيبة (ت 276هـ) لبعض صور الالتفات سالكاً مسلك أبي عبيدة في جعلها تحت مصطلح "المجاز" بقوله "وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والاخفاء والاظهار والتعريض والافصاح والايضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ... مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز ، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن".

وفي تراثنا البلاغي إشارة أخرى لمفهوم "الالتفات" نجدها عند المبرّد (ت 285هـ) عند تناوله للغة القرآن الكريم أيضاً بقوله : "كانت المخاطبة للأمة ثم صرفت الى النبي صلى الله عليه وسلم أخباراً عنهم" ، وذلك في قوله تعالى : **(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ)**[2] .

لقد عدّ المبرّد الانتقال بين الضمائر "صرفاً" وهذا مما حدا ببعض البلاغيين أن يسموا الالتفات بـ "الصرف" ،كما ورد عند اسامة بن منقذ (ت 584هـ) اذ يقول : "باب الانصراف : وهو ان يرجع من الخبر الى الخطاب ومن الخطاب الى الخبر".

ومن الذين عدّوا "الالتفات" انصرافاً ابن المعتز (ت 296هـ) بقوله : "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن

[1] – سورة القيامة، الآية 43

[2] – سورة يونس، الآية، ص 22

معنى يكون فيه إلى معنى آخر" ، والالتفات بحسب هذا التعريف يعني الانتقال من الكلام المباشر إلى الكلام غير المباشر أو بالعكس ، لكن ابن المعتز أضاف في نهاية تحديده ، ان هذه الصورة تعني عملية انتقال عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر[1]

ولا شك ان أسلوب الالتفات "هو نقل معنوي لا لفظي فقط" . إذ إن كل تغيير لفظي يستدعي تغيراً معنوياً .

واستكمالاً لمفهوم "الالتفات" في مدونة ابن المعتز البلاغية نجده يتموضع في قسمين :

- القسم الأول : انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الأخبار وعكسه .
- القسم الثاني : الانصراف عن معنى .

ويتجسد مفهوم "الالتفات" عند ابن المعتز في قسمه الأول بنمط الضمائر أما بالنسبة للقسم الثاني فيتعلق بمقصدية الخطاب ، فالأول يعني التركيب أما الثاني فيعني الدلالة .

إنّ عدّ ابن المعتز "الالتفات" انصرافا يعني عملية التغيير الشكلية في نظام حركة الضمائر التي ينتج عنها تغيير المعنى مع وضوح شكل هذا التغيير .

ونلاحظ بعد ذلك ان ابن المعتز قد تحدث عن الالتفات ضمن حديثه عن البديع تحت ما سماه "محاسن الكلام" وكان مفهوم الالتفات هو أول تلك المحاسن عنده . والبديع عنده بمعناه الخاص كأحد علوم البلاغة العربية وإن جعل (الاستعارة) من البديع مع انتمائها إلى علم البيان مع كل من (الطباق والجناس ورد إعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي) والاستعارة بحسب سلم التصنيف البلاغي لا تنتمي الى البديع بشكل مطلق ، ويعد قيمته البلاغية في المعنى القصدي الذي يحمله ، وانصرافه من جهة الى اخرى ، ولهذا فإنه إذا لم يحمل الالتفات معنى جديداً في دورانه من جهة الى أخرى فهو لا قيمة له[2].

[1] - كراتشكوفسكي، علم البديع والبلاغة عند العرب ، ، ت : محمد الحجري، ص 47 .

[2] - محمد بركات حمدي، دراسات في البلاغة ،ص 136

ويعني "الالتفات" لدى قسم آخر من البلاغيين ونقاد الأدب تواصلاً لسانياً (شفوياً) وصفة للمعنى الشعري في محور التواصل الأدبي ، فهذا قدامة بن جعفر (ت 337هـ) يقول عنه : "ومن نعوت المعاني الالتفات ، وهو ان يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو يظن بأن رادا يرد عليه قوله او سائلا يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه فإما يؤكده او يذكر سببه أو يحل الشك فيه"، ونلاحظ من خلال هذا التعريف "قيمة الالتفات من الناحية المعنوية وصلتها بالنفس الإنسانية ، من افتراض السائل في سؤاله ، وتقديم الجواب عن السؤال أو احلال الشك مكانه".

وفي إطار انصباب قيمة الالتفات على المعنى – تحدث أبو هلال العسكري (ت 395هـ) عن الالتفات جاعلاً إياه على ضربين بقوله : "الالتفات على ضربين ، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يتجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به ... والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذا في معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن ان راداً يرد قوله او سائلاً يسأله عن سبب فيعود راجعا الى ما قدمه فإما ان يؤكده ، او يذكر سببه ، او يزيل الشك عنه"[1] .

من الواضح ان العسكري يضيف الى ما قاله قدامة بن جعفر ضرباً آخر من ضروب أشكال "الالتفات" من خلال حديثه في الضرب الأول عن كيفية من كيفيات الانتقال عن معنى الى معنى آخر ، فالمرسل بحسب رؤيته النقدية والبلاغية ، يتناول معنى معيناً ثم ينتقل الى معنى آخر ثم يعود الى المعنى الأول ملتفتاً إليه مشيراً بذلك الى الشكل التالي للمعنى الأول بقوله : "فيذكره بغير ما تقدم" أي بعبارة أخرى بالشكل المغاير او المفارق للأول[2].

ويقارب أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ) الالتفات مقاربة قدامة والعسكري في اندراجه ضمن علم المعاني بقوله : "وأعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام من الحكاية إلى الغيبة لا يختص

[1] - أبو هلال العسكري ، الصناعتين ،ص392 .

[2] - عبد العزيز عبد الله، ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة ، ، (اطروحة دكتوراه)، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، 1999م ص 276

المسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني ، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع ، وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه وهم أحرياء بذلك أليس قرى الأضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم وهجيرّاهم لا مزقت أيدي الادوار لهم أديما ولا أباحت لهم حريماً أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد فإن الكلام المفيد عند الإنسان لكن بالمعنى لا بالصورة أشهى غذاءً لروحه وأطيب قرى لها" .

ولا يكتفي السكاكي بتحديد "الالتفات" بنمط الضمائر فحسب ، وإنما يُدَّور الكلام الى قضية التلقي ، فيرى ان عملية "النقل" هذه الحاصلة بين الضمائر تؤدي الى تمكين المعنى، وحصول الاستجابة لأن الكلام عندما ينطوي على تعديل معين في أسلوب مخاطبته للمتلقي يؤدي الى تحريك نشاط السامع وايقاظه) ، "وتعود فكرة التمكين في البلاغة العربية الى أصلين هما : دراسات الإعجاز القرآني والغاية بدراسة المعنى. ولا يكتفي السكاكي بتصنيف الالتفات ضمن علم المعاني في البلاغة العربية وانما ذكره في علم البديع دون أن يفصل فيه القول بقوله :"ومنه الالتفات ، وقد سبق ذكره في علم المعاني"

ومن الذين تحدثوا عن "الالتفات" ضياء الدين ابن الأثير (ت 637هـ) ويلاحظ عليه في كتابه "المثل السائر" أنه عندما عرض للالتفات كان منظم المنهج ، مرتب العرض ، لذا نراه عرض في النوع الرابع من الصناعة المعنوية الى الالتفات ، وأدار الحديث حول قيمته ، وأنواعه وربطه بالذوق ثم عرض ابن الأثير للعلاقة بين الالتفات والنظم ، وللاتصال بين الالتفات والأسلوب.

وينزّل ابن الأثير الالتفات منزلة علم البيان بقوله : "هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تُستند البلاغة ، وعنها يعنعن وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا ، وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه يُنتقل فيه عن صيغة الى صيغة ، كانتقال من خطاب حاضر الى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو

من فعل ماضٍ إلى مستقبل أو من مستقبل الى ماض ، او غير ذلك ... ويسمى أيضا "شجاعة العربية" وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام"[1].

لقد أضاف ابن الأثير قسما آخر للالتفات وهو الالتفات الفعلي وذلك في قوله : "أو من فعل ماض الى مستقبل ... الخ" . وفي كتابة "الجامع الكبير" يضيف ابن الاثير نمطاً ثالثاً إلى جانب النمطين السابقين للالتفات الا وهو نمط "العدد" بقوله :"الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد.

وهذا يعني أنه وسع المفهوم وطوره عن سابقيه ويصل ابن الأثير الحديث عن الالتفات بالذوق المدرب، إذ إن عملية الانتقال من صيغة الى صيغة مرتبط بالمعنى ، والمعاني متشعبة لا نهاية لها وبهذا ربط ابن الأثير الالتفات بالأغراض النفسية والمقاصد الاجتماعية ، بقوله : "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة او من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنها لا تُحد بحد ، ولا تُضبط بضابط، لكن يشار الى مواضع منها ، ليقاس عليها غيرها فإنّا قد رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ، ثم رأينا ذلك بعينه – وهو ضد الأول – قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة ، فعلمنا حينئذٍ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شُعباً كثيرة لا تنحصر، وإنما يُؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه"[2].

ولا يقتصر كلام ابن الأثير عند هذا الحد وإنما يشير الى قيمة الالتفات في نظرية النظم وفصاحة العربية بقوله : "وأعلم أيها الموشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ الى صيغة أخرى لا يكون الا لنوع خصوصية ، اقتضتْ ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه الا العارف برموز

[1] - ضياء الدين أبن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار المعارف، ط3، ج2، ةص181

[2] - ابن الأثير، المثل السائر : ج2، ص181 .

الفصاحة والبلاغة الذي أطلّع على أسرارها ، وفتّش عن دفائنها ... ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنه من أشكل ضروب علم البيان ، وأدقّها فهماً ، وأغمضها طريقاً".

وقد أطلق ابن الأثير كما أسلفنا على الالتفات تسمية "شجاعة العربية" وقد سبقه ابن جني إلى هذه التسمية .

إن المقصود بالشجاعة الإقدام على أنماط تعبيرية مخالفة لما يقتضيه الأصل ، فالتغيرات التي تمارسها أنماط الالتفات إن تأملتها عبارة عن اقتحام سبيل غير السبيل المألوف .

ويطالعنا في ميدان التنظير الاصطلاحي للالتفات حازم القرطاجني (ت 684هـ) من خلال بحثه لبلاغة التلقي الأدبي عند العرب بقوله : "والصورة الالتفاتية هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض ، وان ينعطف من إحداهما إلى الأخرى انعطافاً لطيفاً من غير واسطة ، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحول والانعطاف غير الالتفاتي يكون بواسطة بين المنعطف والمنعطف إليه" ، ويحدد حازم القرطاجني بلاغة التلقي عند العرب بقوله : "وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم ، أو ضمير مخاطب ، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة ، وكذلك يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الأخبار عن نفسه – وتارة يجعله كافاً أو تاء فيجعل نفسه مقام الغائب ، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب وإنما يستحسن الانتقال من بعضها الى بعض"[1]

ومن الذين تناولوا "الالتفات" السجلماسي (ت 704هـ) بقوله : "وهو المدعو عند قوم خطاب التلون ... وفائدة هذا الأسلوب من النظم والفن من البلاغة استقرار السامع والأخذ بوجهه ، وحمل النفس بتنويع الأسلوب وطراءة الافتنان على الاصغاء للقول والارتباط بمفهومه" .

ويعرّف الطيبي (ت 743هـ) الالتفات بقوله : "وهو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث أعني الحكاية والخطاب والغيبة إلى الأخرى منها لمفهوم واحد رعاية لكنتة

[1] - ابن الأثير، المثل السائر، ج2،ص 315 .

**ب – أهمية الالتفات:**

للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفاته، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية، ومنها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، وهذه فائدته العامة، وأما الفوائد الخاصة فتختلف باختلاف مجاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم. قال السيوطي1: ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله ومن هذه الفوائد الخاصة ما يلي:

1- قصد تعظيم شأن المخاطب، ومن هذا قوله تعالى: **(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)**[2] ، فإن التأدب في الغيبة دون الخطاب أعظم، وكذلك ما ذكره المفسرون في سورة الفاتحة من تفصيل وبيان أوجه التعظيم من خلال أسلوب الالتفات في الآيات. |

2**– التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه** كقوله تعالى: "وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "[3]

الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم، ويريهم أنه لا يريد اللهم إلا ما يريد لنفسه.

**3–أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم** فيأتي به محافظة على تتمم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له كقوله: أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، أصل الكلام "إنا مرسلين رحمة منا" ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر للإنذار بأن الربوبية تقتضي

[1] – محمد بن بهادر الزركشي، الاتقان في علوم القرآن،ج2، ص 229

[2] - سورة الاسراء، الآية، 111

[3] محمد بن بهادر الزركشي، الاتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج3،226.

الرحمة للمربوبين للقدرة عليهم. و أو التخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر أو الإشارة على أن الكتاب إنما هو إليه دون

غيره ثم التفت بإعادة الضمير إلى رب الموضوع موضع المضمر للمعنى المقصود من تتميم المعني.

**4- قصد المبالغة كقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"[1]**

، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليتعجب منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح لها إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغي في الأرض بغير الحق ما ينكر ويقبح.

**5- قصد الدلالة على الاختصاص كقوله تعالى: "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ "**

فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه أدخل فيه الاختصاص وأدل عليه، سقنا وأحيينا.

**6- قصد الاهتمام كقوله تعالى:** "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ "2، فعدل عن الغيبة في القضاهن" و "أوحى"، إلى التكلم في أوزينا السماء" للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا وأنها ليست حفظا ولا رجوما فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك لكونه مهما من مهمات الاعتقاد ولتكذيب الفرقة المعتقدة ببطلانه.3

[1] - سورة الدخان ، الآية5-6

[2] -سورة فاطر، الآية، 09

[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 326

**7- قصد التوبيخ كقوله تعالى:" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لقد جئتم شيئاً إِدّاً"**[1]

عدل عن الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أن القائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا ومنكرة عليه، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور فقال: "لقد جئتم" لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له.[2]

من خلال ما سبق يتبين لنا أن النص يعنى بدراسة أدوات التماسك النصي، إذ يؤدي الفصل بين مستوياته إلى عدم وضوح النص، مما يؤدي إلى عزل أو إسقاط عنصر من عناصر الشكلية أو الدلالية، ويفسر هذا بوضوح من خلال مصطلح التماسك النصي، ومع مفهوم الالتفات عند البلاغيين فإننا نخلص إلى أن حقيقة الالتفات مأخوذ من إلتفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام بخاصة، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى أخرى، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو العكس، أو من فعل إلى مستقبل، أو العكس، أو غير ذلك.

[1] - سورة فصلت ، الآية 12

[2] -الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 327

# خاتمة

يُعد موضوع البلاغة العربية محور اهتمام القدامى والمحدثون كل حسب تخصصه ومن خلال دراستنا لكتاب دراسات في البلاغة استطعنا الخروج بالنتائج التالية:

- إنّ أقسام البلاغة تشتمل على مقدمة وعلوم وخاتمة، فأمّا العلوم فهي معان، بيان وبديع وأمّا المقدمة فهي الفصاحة والبلاغة، والخاتمة عن السرقات الشعرية وحسن التخلص، و العلوم فهي التي تجمع البلاغة
- الإقناع البلاغي قائم على أثر الكلمة وتخليدها للمآثر وأصل للوحدة في العلوم البلاغية من اللفظ إلى المعنى، إلى الفصاحة، إلى البلاغة ، إلى الدلالات فالتركيب ، فالانسجام.
- الإقناع البلاغي لا يقتصر على فن دون آخر أو علم دون غيره ، بل تتحد فيه علوم البلاغة بما في ذلك من فصاحة وبلاغة
- والحسن البلاغي لا يكون في اللفظة فقط ولا في المعاني فقط، بل في ألفاظ يعبّر بها عن معان، ولكن ليس كيفما وقع ، لذلك كان للبلاغة مذاهب تراعى، ومقاييس تعتبر عند الكتابة، وأثر للحسن في تفضيل البلاغة عند المتلقي صاحب الذوق الرفيع.
- إنّ فهم طبيعة الفن البلاغي العربي من شمولية لعلومه المختلفة من نقد وأدب وبلاغة وغيرها من العلوم يساهم في الولوج إلى التفسير القرآني وفهم إعجازه.
- يمثل أبو هلال العسكري أنموذجا بارزا في منحى البلاغة ؛ لأنها أبرز محاولة عرفها القرن الرابع الهجري، وهو أول مؤلف يترجم بجلاء عن هذا الاهتمام إذ بوأه مرتبة المدخل الى كتابه (الصناعتين) وكذلك (ديوان المعاني)
- يعد أسلوب "الالتفات" من بديع فنون البلاغة وهو أسلوب لطيف من أساليب اللغة العربية وملمح دقيق من ملامح النظرية الأسلوبية الحديثة
- للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفاته، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية

- من خلال الآيات الواردة عن الالتفات نلاحظ أنّ أغلبها آيات مكية وذلك لأنّ خصوصية المكية كانت في تثبيت العقيدة، بينما الآيات المدنية اتسمت بسن الشرائع والأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات وغيرها، وأنّ جميع ما ورد في هذه الكتب من الآيات المدنية قد تشابهت في خصوصيتها بالآيات المكية.

# قائمة المصادر والمراجع

**القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

**أولا: الكتب**

1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي اللدين عبد الحميد، ج2، د.ط، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي والحلبي، مصر، 1939.

2) إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ط4.

3) أحمد الودرني، قضية اللفظ والمعنى و نظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن السابع هجري، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان، ط1، 2004

4) الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، د.ت، دار المعارف، مصر.

5) الجاحظ، البيان والتبيين، تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ج1 .

6) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح/ محمد عبد المنعم خفاجين، دار الكتاب الحديث الكويت، د ط، د ت، ج 1.

7) الرازي، الإيجاز في نهاية الإعجاز، تح/ سعد سلمان حمودة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2008

8) الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1985

9) ضياء الدين أبن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار المعارف، ط3، ج2، ةص181

10) ابن سعيد العسكري، رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب العجم ،تحقيق عباس أرحيلة، مكتبة لسان العرب، بيروت، لبنان.

11) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، شركة القدس القاهرة ، مصر ج1.

12) عبد الرحمان البرقوقي ، شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العربي، بيروت ، لبنان ، ج1

13) قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد خفاجي، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

14) ابن منظور، لسان العرب، مج 13، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص 215-214

15) محمد بركات حمدي أبو علي ، دراسات في البلاغة، دار المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، د.ط.

16) محمد بن بهادر الزركشي، الاتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج3.

17) محمد بن بهادر الزركشي، الاتقان في علوم القرآن،ج2

18) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني ، ت أحمد حسن ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2

19) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989

**ثانيا: المذكرات**

20) عبد العزيز عبد الله، ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة ، ، (اطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ، 1999م ص 276

# فهرس المحتويات

| المحتويات | الصفحة |
|---|---|
| كلمة شكر | - |
| إهداء | - |
| بطاقة فنية | - |
| **مقدمة** | أ |
| مدخل | 02 |
| **الفصل الأول: تلخيص الكتاب** | - |
| **المبحث الأوّل:** الإقناع البلاغي أو وحدة علوم البلاغة | 10 |
| **المبحث الثاني:** الحس البلاغي. | 19 |
| **المبحث الثالث:** الالتفات بين التراث والمعاصرة | 24 |
| **الفصل الثاني: دراسة الكتاب** | - |
| المبحث الأوّل: صور الحسن البلاغي | 33 |
| المبحث الثاني: الالتفات في الموروث البلاغي العربي | 48 |
| خاتمة | 62 |
| قائمة المصادر و المراجع | 65 |
| فهرس المحتويات | 68 |